السبت 5 أيلول 2020
العدد 4140 السنة الخامسة عشرة
Samedi 5 Septembre 2020 n°4140 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

إبراهيم الكوني
مهاجر ليل يعبر الظلمات

تفخيخ عقد التدقيق الجنائي بدفاتر مصرف لبنان
أزمة بنزين تلوح في الأفق
[2]

«التأمين الإلزامي»
لا تدفع ولا تحيد من درب «الدفّيعة»!
[6 ـ 7]

(هيثم الموسوي)

الأخبار
اشترك في جريدة الأخبار لمدة 4 أشهر
بـ 100,000 ل.ل.
يستمر العرض من تاريخ 19 آب 2020 لغاية 10 ايلول 2020
كما تكونون تكون الاخبار
Tel:01/ 759500
subs@al-akhbar.com

المشهد السياسي

مفاوضات تأليف الحكومة: خلاف على «وزارة المالية»؟

تفخيخ التحقيق بدفاتر مصرف لبنان

سلك عقد التدقيق المالي الجنائي في حسابات مصرف لبنان مساره التنفيذي يوم أمس بعد توقيع وزير المالية في حكومة تصريف الأعمال عليه. النسخة النهائية للاتفاق أثارت امتعاض رئيس الجمهورية ميشال عون، بموازاة انقضاض حاكم مصرف لبنان رياض سلامة على ما جرى عبر دراسة أعدّها محاموه تدّعي عدم جوازية توقيع المالية بالنيابة عن المركزي

بعد مضي شهر على تفجير مرفأ بيروت، يستمر فريق الإنقاذ الآتي من تشيلي بالبحث عن ناجين تحت الأنقاض (هيثم الموسوي)

بعد 10 أيام على تسليم وزير المالية في حكومة تصريف الأعمال غازي وزني رئيس الجمهورية ميشال عون النسخة النهائية لاتفاقية التدقيق المالي الجنائي مع شركة Alvarez & Marsal، وقّع وزني العقد يوم أمس. الصيغة الموقّعة من وزير المالية جاءت مختلفة عما تمنّاه رئيس الجمهورية ميشال عون، على ما تقول المصادر، بعدما طلب من وزني الالتزام باقتراحَي هيئة التشريع والاستشارات: السماح لمجموعة «إيغونت غروب» بأن تكون عضواً في اللجنة الرسمية اللبنانية التي ستتولى متابعة عمل «الفاريز» للإشراف على مدى التزام هيئة التحقيق الخاصة بالقواعد الإلزامية التي تنظّم عملها، وإشراك هيئة الاستشارات بصفتها مستشاراً قضائياً مستقلاً للدولة، في اللجنة التي ستتابع عمل الشركة. يومها، أعرب وزني «عن تجاوبه مع طلب الرئيس عون، لكنه أشار الى فرضية عدم قبول شركة «الفاريز» بهذه التعديلات، لافتاً الى أنه سيلتزم بما تقبله الشركة». على أن العقد الذي تبلغ قيمته مليونين و220 ألف دولار،

> **مصادر «المالية»: وزني ملزم بتوقيع العقد من دون تعديل**

بصيغته الحالية، سينتج منه تقرير أولي سياتي فارغاً من أي مضمون ومن أي محاسبة بسبب تقييد القوانين اللبنانية لعمل الشركة، وأبرزها قانونا السرية المصرفية والنقد والتسليف. وقد بدأ حاكم مصرف لبنان رياض سلامة قبيل بدء تنفيذ عملية التدقيق بالانقضاض عليها. فوفقاً للمعلومات، أعدّ محامو سلامة دراسة تخلص الى عدم جواز وزارة المالية التوقيع بالنيابة عن مصرف لبنان كونه يتمتع بالاستقلالية المالية بموجب المادة 13 من قانون النقد والتسليف.

ما تقدّم يمهّد لرفض الحاكم التجاوب مع طلبات شركة «الفاريز» التي يفترض أن تبدأ عملها فور توقيع العقد، أو في فترة أقصاها أربعة أو خمسة أيام. ويجب على فريق التدقيق (مكوّن من 16 شخصاً بشكل عام، لكن الفريق الدائم والمعني بعملية التدقيق يتألف من 9 أشخاص)، أن ينجز التقرير الأولي للتحقيق الجنائي في غضون عشرة أسابيع من تاريخ توقيع العقد. مصادر مقربة من الرئيس عون، أشارت الى «امتعاضه من صيغة العقد النهائية التي وقّعت يوم أمس».

في المقابل، تشير مصادر وزارة المالية إلى أن «وزني، وخصوصاً في فترة تصريف الأعمال، مُلزم بتوقيع العقد وفقاً لقرار مجلس الوزراء. ويحتاج إدخال أي تعديل عليه إلى قرار من الحكومة». وترى المصادر أن وزير المالية ينفّذ قراراً حكومياً، وأنه مفوّض بالتوقيع لا بالتعديل.

وعليه، ثمة من يسأل عما إذا كان هذا الحدث المستجدّ سيؤدي الى عرقلة في تشكيل الحكومة أو عدم توافق بين عون ورئيس مجلس النواب نبيه بري حول ما جرى. وفي هذا السياق، برزت بعض الأحاديث عن مطالبة التيار الوطني الحر بحقيبة المالية من مبدأ المداورة، علماً بأن النائب في كتلة التنمية والتحرير أيوب حميد كان قد أعلن تمسك حركة أمل بوزارة المالية من منطلق الحفاظ على «التوقيع الشيعي الثالث» قبيل أن تجرى الاستشارات النيابية حتى. وهو ما اعتبره البعض استباقاً لاعتماد المداورة في وزارة المالية. من جهتها، نفت مصادر التيار الوطني الحر مطالبتها بأي وزارة بما فيها المالية، ناسبة هذه الشائعات الى «مجموعة متضررين من المبادرة الفرنسية وهم أنفسهم من حاولوا سابقاً الانقلاب على العهد وعلى مجلس النواب». هؤلاء، تتابع المصادر، «بينهم قوى سياسية وإعلامية، منزعجون من الدور الذي يقوم به الرئيس عون اليوم كمحاور لدول العالم وركيزة لشرعية الدولة، فعمدوا الى الترويج المسبق لأكاذيب من باب عرقلة تشكيل الحكومة وتخريب التوافق المحلي والدولي». أما حديث التيار الوطني الحر عن المداورة، فأتى «بمعناه الإيجابي الذي يؤدي الى كسر الحصرية عن كل الوزارات والتخلي عن العرف السائد لإنجاز إصلاحات حقيقية، وادعاء مطالبة التيار بالمالية كذبة تفضح نفسها عبر حسم انتقال هذه الحقيبة الى الطائفة المسيحية وتدخل في إطار محاولة استكمال الانقلاب الفاشل. في مختلف الأحوال، التيار أكد تسهيله عملية التشكيل، سواء كان ممثلاً في الحكومة أو قرر عدم المشاركة فيها».

وبحسب مصادر معنية بمفاوضات التأليف، فإن الحكومة يمكن أن تُبصر النور قريباً، لأن المشاورات التي يجريها الرئيس المكلف مصطفى أديب مع ممثلي الكتل النيابية الرئيسية تكشف وجود نية بعدم عرقلة التشكيل، وعدم ممانعة أي فريق بوجود حكومة مصغّرة. كذلك تشير المصادر إلى أن حقيبة المالية محسومة لوزير شيعي، «لأن هذا الأمر محسوم في اتفاق الطائف، أسوة بمذاهب الرئاسات الثلاث، المتفق عليها من دون نص مكتوب». ولفتت المصادر إلى أن المحسوم أيضاً هو ألّا يتولاها وزير حزبي، ولا وزير خاضع للإملاءات الحزبية.

(الأخبار)

تقرير

أزمة بنزين تلوح في الأفق

(مروان طحطح)

علمت «الأخبار» أن حاكم مصرف لبنان رياض سلامة يرفض التوقيع على قرارات فتح اعتمادات (بالدولار) لشركات استيراد البنزين، قبل حصوله على لائحة تفصيلية من وزارة الطاقة بهذه الشركات. وبحسب مصادر مصرفية، فإن سلامة طلب من وزير الطاقة في حكومة تصريف الأعمال، ريمون غجر، تزويده بمعلومات عن كميات المحروقات التي تنوي مؤسسة كهرباء لبنان استيرادها في الأشهر المقبلة، لزوم توليد الطاقة الكهربائية. كما طلب لائحة بالشركات المستوردة للمحروقات (بنزين ومازوت وغاز)، والكميات التي تطلب استيرادها. ويبرر سلامة طلباته بأنها تهدف إلى درس حاجات السوق، وكيفية المواءمة بينها وبين «ما بقي من دولارات في مصرف لبنان». ويؤدي رفض سلامة منح موافقة مسبقة على فتح الاعتمادات إلى عجز الشركات عن الاستيراد، ما يعني أن أزمة بنزين تلوح في الأفق. وتقول الشركات إنها لا تخزّن البنزين السريع التبخّر، وهي تستورد عادة ما يكفي السوق لأيام فقط. أما المازوت، فمتوفر، بسبب تخزين كميات كبيرة في الأشهر الماضية.

وتلفت مصادر مصرفية إلى أن أزمة الدولارات لن تقتصر على المحروقات، إذ إن استيراد الأدوية لن يتم بصورة مريحة مستقبلاً، لافتة من جهة أخرى إلى وجود مخزون كبير من الأدوية في لبنان، إذ تبيّن أن الشركات استوردت في السابق كميات أكبر من حاجة السوق. وأشارت المصادر إلى أن سلامة أكثر تساهلاً مع شركات الأدوية منه مع

ترسيم الحدود البحرية: شينكر «منزعج»

علمت «الأخبار» أن نائب مساعد وزير الخارجية الأميركي ديفيد شينكر التقى المستشار الإعلامي لرئيس مجلس النواب، علي حمدان، بطلب من المسؤول الأميركي، وذلك من أجل النقاش في ملف ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وفلسطين المحتلة. وقالت مصادر مطلعة على اللقاء إن الأجواء لم تكُن إيجابية وإن شينكر كان منزعجاً جداً لأن لبنان لا يزال متمسكاً بشروطه، فيما تطالب الولايات المتحدة الأميركية لبنان بتقديم تنازلات في هذا الملف. وقالت المصادر إن شينكر كرر الشروط التي سبق أن جاء بها ديفيد هيل سابقاً، وتحديداً في ما يتعلق بفصل الترسيم البري والبحري وتحديد مهلة زمنية للتفاوض.

(الأخبار)

في الواجهة

حكومة وزراء ليسوا من صنع الأحزاب ولا معادين لها

يوحي التكتم الذي يحوط بمفاوضات تأليف الحكومة، ثم في ضوء ما رشح عن الاجتماع الأول بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلف، أن البلاد ربما مقبلة على حكومة لا تشبه الكتل الرئيسية التي اعتادت صنع الحكومات. بعضلات فرنسية هذا الاستثناء

نقولا ناصيف

مذ أجرى الرئيس المكلف مصطفى أديب الأربعاء 2 أيلول مشاوراته مع الكتل الرئيسية لتأليف حكومته، لا أحد يعرف بانقضاء ثلاثة أيام من مهلة الخمسة عشر يوماً، مَن يتفاوض مع مَن؟ حصل اجتماع واحد بين أديب ورئيس الجمهورية ميشال عون غداة المشاورات تلك كي يطلعه على نتائجها، غير ذات الجدوى في الأصل. لا يُعرَف بعد من أين سيأتي الرئيس المكلف بوزرائه، أو تهبط أسماؤهم عليه، ولا المرجعيات التي يقتضي تشاوره معها من بين الكتل، إذا كان ثمة دور لها كونها تمثّل الغالبية التي تمنح حكومته الثقة في مجلس النواب. ما خلا الأحاديث عن حكومة اختصاصيين، لا أحد يسعه التكهن بالحد الفاصل بين الاختصاصي والسياسي.

لعل المفارقة، أن اللبنانيين يعرفون مضمون البيان الوزاري للحكومة الجديدة، المنبثق من ورقة العمل الفرنسية، قبل أن يعرفوا أي حكومة ستبصر النور وممَن.

ما يبدو معلوماً حتى الآن في المسار الذي يسلكه التأليف - إذا صحّ أن التعهدات التي قطعتها الكتل الرئيسية للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الثلاثاء الفائت ذات صدقية - بضعة معطيات منها:

1 - نجاح تأليف الحكومة في مدة خمسة عشر يوماً كما قال ماكرون، أو أقل حتى، استناداً الى ما وعدته به القيادات اللبنانية، يُسجّل في ذاته سابقة غير مألوفة، بل تكاد لا تصدّق. ذلك أن القوى السياسية، القادرة على إزالة أي عراقيل في طريق تأليف حكومة وتسهيل اختيار وزرائها، هي نفسها التي تلاعبت منذ اتفاق الدوحة عام 2008 بتأليف الحكومات المتعاقبة، بدءاً بالمدة الدنيا مع حكومة الرئيس حسان دياب هذه السنة وهي 44 يوماً، ذهاباً الى المدة القصوى مع حكومة الرئيس تمام سلام عام 2014 وهي عشرة أشهر و9 أيام. يعني ذلك أيضاً، دونما إعفاء أي رئيس مكلف منذ عام 2008، أن القوى السياسية لم تكن تسمح بتأليف حكومة لا تراعي حصصها فيها وتفرض وزراءها. لم يحدث ذلك في حكومات الوحدة الوطنية منذ اتفاق الدوحة فحسب، بل أيضاً في حكومة دياب التي لم تُتمثّل فيها الكتل تلك مباشرة، إلا أنها هي التي ألّفتها وأدارتها من وراء الستار وعرقلت مهماتها وفرضت على رئيسها استقالتها.

2 - في صلب مبادرة الرئيس الفرنسي، حكومة لا تشبه كل اللواتي سبقتها، بما فيها حكومة دياب التي تتقاطع معها في الظاهر فقط بتوزير اختصاصيين. لم يعد في الإمكان الاستعانة بأدوات الماضي. يقتضي بالحكومة الجديدة أن لا تكون على صورة الأحزاب الممثلة بالكتل النيابية الرئيسية، تتحكم بها في مجلس الوزراء وفي مجلس النواب. لذا تكمن أهمية اختيار الوزراء الجدد في المرجعية التي ستدلّ على أسمائهم، لا في الأحزاب التي ستكون هذه المرة في منأى عن الاختيار وفرض التسمية. الواقع أن مَن سيدلّ على سلة من الأسماء المرشحة مرجعية أقرب ما تكون في صلب الإدارة الفرنسية، الواسعة الإلمام والكثيرة التوغل، العارفة بأدق تفاصيل الداخل اللبناني. هو ما قد يصحّ على الاستخبارات الفرنسية التي يرأسها السفير السابق في بيروت برنار إيميه.

3 - مع أن المواصفات المعلنة للحكومة الجديدة أن تكون من اختصاصيين، إلا أن الأساس فيها أن لا يكون وزراؤها مناوئين للكتل أو استفزازيين لها، وفي الوقت نفسه ليسوا من اختيارها أو في عداد أعضائها، كي تتمكن الحكومة الجديدة من الاضطلاع بالمهمة المنوطة بها داخلياً وخارجياً، وهي إجراء الإصلاحات البنيوية في الاقتصاد والنقد. مواصفات كهذه هي الخيار الوحيد المطروح أمام الرئيس المكلف. ما خلا ذلك سيكون أمام الاعتذار عن عدم تأليف الحكومة. وطأة الضغوط الدولية انطلاقاً مما تمثله المبادرة الفرنسية، كفيلة بأن لا تقوده إلا الى السيناريو الجيد.

4 - سيكون من السذاجة الاعتقاد أن الرئيس الفرنسي لم يُعدّ لمبادرته بعناية - ناهيك بالأميركيين - مع كل من إيران والسعودية، الدولتين القادرتين على ممارسة حق النقض في تأليف حكومة لبنانية، وإن بتأثير متباين: في وسع إيران من خلال الثنائي الشيعي منع تأليفها تماماً، وهو الدور الأقدر على الاضطلاع به حزب الله، فيما في وسع السعودية إحالة الحكومة الجديدة عاجزة كلياً عن أداء أي دور الى حد إصابتها بالشلل، عبر إيصاد أبواب الخليج في وجهها، وعدم محضها الاعتراف - السنّي الحتمي والضروري - بها على نحو ما رافق حكومة دياب من يومها الأول حتى استقالتها. ذلك ما خبرت قسماً أساسياً منه حكومة الرئيس سعد الحريري عام 2019 حتى استقالتها نهاية العام، بافتقارها الى الغطاء الذي اعتاده من الرياض. استطاعت المملكة أخيراً فرض فيتو على عودته الى السرايا، وحرمته حق التسمية من داخل تيار المستقبل حتى، من غير أن يجرؤ على مواجهتها. لم تعترض على أديب مثلما لم تعترض قبلاً علانية على دياب، مكتفية بإغلاق الأبواب في وجهه. حاجة الدور الفرنسي الى الرياض وطهران مرتبطة ليس بتسهيل تأليفها فحسب، بل إتاحة الفرصة أمام الحكومة الجديدة لإخراج لبنان من عزلته الإقليمية والدولية الخانقة، مضاعفة في اختنقه الاقتصادي والأمني.

> **بعد 4 آب فقدت الكتل مخالبها بتكشّف مسؤولياتها السياسية والأخلاقية**

5 - منذ انفجار مرفأ بيروت تمرّ الكتل الرئيسية في مرحلة فقدان توازنها، ومقدرتها على الإمساك باللعبة الداخلية التي أفلتت من عقالها. قبل 4 آب بدا من المؤكد أن يستمر الاختناق الداخلي الى أمد غير معروف، بالتزامن مع الانهيارين الاقتصادي والنقدي، ناهيك بتضاؤل دور الحراك الشعبي وضموره الى حد بعدما أضحى ثمة شارع قبالة شارع. كان في وسع الكتل تلك الاستمرار مع حكومة دياب الى ما شاء الله، والتلاعب بها، ومنعها من إقرار أي إصلاح بنيوي يلحّ عليه المجتمع الدولي. بعد انفجار المرفأ، تكشفت عن الكتل مسؤولياتها السياسية والأخلاقية حيال ما حدث. بذلك فقدت المخالب التي اعتادت نشبها في المعادلة الداخلية منذ اتفاق الدوحة. صار من السهولة بمكان الاستماع الى مراجع ومسؤولين يقولون إنهم لا يتمسكون بحقائب، كانت حتى حكومة دياب أقرب ما تكون الى حقوق وأصول لهم. كذلك الأمر بالنسبة الى الحصة في مجلس الوزراء. صار من البساطة تقبّل إجراء مداورة في الحقائب السيادية والأساسية بلا أدنى اعتراض.

(هيثم الموسوي)

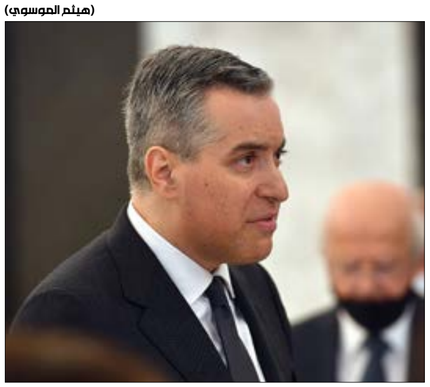

> **سلامة لا يزال يمانع عقد اتفاق على برنامج بين لبنان وصندوق النقد الدولي**

مصادر معنية أن يكون حاكم «المركزي» في طور استعمال أزمة الدولارات للضغط سياسياً، تنفيذاً لمطالب أميركية. ولفتت إلى أن سلامة أكّد لمراجعيه أن السبيل الوحيد لحل الأزمة هو «سياسي، من خلال حلحلة داخلية تسمح بعودة التدفقات المالية من الخارج، وخاصة من دول الخليج».

ويتّضح من كلام سلامة لمراجعيه أنه لا يزال يمانع عقد اتفاق على برنامج بين لبنان وصندوق النقد الدولي، لعلمه بأن اتفاقاً مماثلاً يعني حُكماً تدقيقاً جدياً في حسابات مصرف لبنان، وإعادة هيكلة للقطاع المصرفي وفق رؤية صندوق النقد، لا وفق رؤية سلامة وأصحاب المصارف اللبنانية. لكن سلامة قال لمراجعيه إنه مستعد للسير في ما تقرره الحكومة المقبلة، لجهة تحديد أرقام الخسائر في القطاع المالي، التي على أساسها سيتم التفاوض مع صندوق النقد. وبحسب المصادر، يعوّل سلامة على موقف «المجلس النيابي»، الذي لن يمرر أرقام الحكومة، تماماً كما تمكّن من نسف الأرقام التي قدمتها الحكومة المستقيلة. ولفتت المصادر إلى أن الأوراق الثلاث التي سمّاها أصحابها (كتلة حركة أمل، النائب جبران باسيل والنائب السابق وليد جنبلاط) «إصلاحية» وقدموها إلى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في اجتماع قصر الصنوبر في الأول من أيلول، تتضمن عملياً دفنَ خطة «التعافي المالي» التي أقرتها حكومة الرئيس حسان دياب. فالورقة الأولى (حركة أمل) طالبت بإقرار خطة جديدة للتفاوض مع صندوق النقد الدولي، كما لو أن الخطة السابقة غير موجودة. أما الورقة الثانية (باسيل)، فطالبت بإقرار خطة «مطوّرة انطلاقاً من خطة الحكومة السابقة»، فيما جنبلاط طالب بتعزيز قدرة مصرف لبنان على تطبيق القانون!

في المحصلة، دخلت البلاد مرحلة حرجة، لجهة القدرة على استيراد السلع الأساسية المدعومة حالياً، فيما تتعامل السلطة النقدية مع الأمر كما لو أنها وسيط من خارج النظام. أما القوى السياسية فلا تفعل شيئاً سوى الانتظار.

(الأخبار)

رسائل إلى المحرر

أبي جوده لم تلتقِ شينكر

جاءنا من حزب «مسيرة وطن» الرد الآتي:

ورد في جريدتكم العدد 4139 الصادر يوم أمس الجمعة 4 أيلول 2020 مقال بعنوان «شينكر يُحبط «المدنيين» ويتجاهل المسؤولين الرسميين» أن «كارول أبو جودة من مجموعة «مسيرة وطن»» التقت مساعد وزير الخارجية الأميركي.

يهمّنا في حزب مسيرة وطن أن نوضح الآتي:

- مسيرة وطن هو حزب جديد هويته الفكرية اجتماعي ديموقراطي قيد التأسيس سيعلن عنه في القريب العاجل.

- الحزب لم يلتقِ أي مسؤول خارجي.

نطلب منكم نشر هذا التصحيح لعدم إيقاع القرّاء في أيّ التباس، متمنّين عليكم، ومنعاً لنشر أخبار كاذبة عن الحزب لا أساس لها من الصحة، التحقق من أيّ خبر يخص الحزب قبل نشره، عن طريق التواصل مع السيدة دارين دندشلي عضو الهيئة التأسيسية في الحزب.

حزب مسيرة وطن

■■■

... ومن كارول أبي جوده الرد الآتي:

ورد في عدد جريدة «الأخبار» يوم أمس 4 سبتمبر 2020، خبر مفاده أنني شاركت عن مجموعة «مسيرة وطن» في الاجتماع الذي عقده مساعد وزير الخارجية الأميركي مع بعض ممثلي المجتمع المدني. يهمّني أن أنفي هذا الخبر، إذ إنني لم أشارك في هذا الاجتماع، كما لم يشارك فيه أي من رفاقنا من «مسيرة وطن».

كارول ابي جوده

من المحرر

تستقبل «الأخبار» رسائل القرّاء على العنوان الإلكتروني الآتي: letters@al-akhbar.com. على أن تنطلق الرسالة من أحد المواضيع المنشورة في «الأخبار»، وألا يتجاوز نصها 150 كلمة.

قضية

العقد السياسي الجديد هو بين اللبنانيات واللبنانيين

بول أشقر

حسناً فعلَ مَن أطلق على الإصلاح المطلوب تسمية «العقد السياسي الجديد»، حتى لو كان أعجمياً. لكن، كان عليه إضافة ثلاث كلمات هي: «بين اللبنانيات واللبنانيين».

عشيّة دخول لبنان القرن الثاني من عمره، وإن كنّا جديّاً نريد البدء بشقّ الطريق نحو واقع آخر. ولنقُل ببساطة وشفافية، طريق يبتعد عن الطائفية والطوائف (بالجمع) اللتين خطفتا القرن الأول، ويقترب من المواطنة والمواطن والمواطِنة (بالمفرد). وهو طريق يسمح بلجم تمادي الطائفية في الجسم اللبناني ووقف انتشارها وإعادتها ولو بعد حين إلى الوراء.

هناك إصلاحان متلازمان لا مفرّ منهما للانتقال من واقع إلى آخر، الأول يعني نظام الأحوال الخاصة أو الشخصية، والثاني يعني النظام السياسي.

هذان الإصلاحان لا يتطلّبان أيّ إصلاح دستوري، وهذه نعمة. والعبور نحوهما يتم بواسطة حملة شعبية، هي الضمانة في القرن الثاني لوصولهما إلى المبتغى. وإلا ضاعا في الطريق كما حصل في القرن الأول: الإصلاح الأول بين الدول (خصوصاً دولة الانتداب) ورجال الدين، والإصلاح الثاني بين دولة الانتداب ورجال السياسة.

ولا بدّ من الاعتراف بسرعة، لئلا يُساء الفهم، أن الملفّين عرفا تدهوراً شديداً كلّ مرة بعد خروج الدولة المنتدبة، وأن كلمة الفصل - خصوصاً في المجال السياسي بعد الإستقلال - عادت للطوائف الكبيرة على حساب الصغيرة الملحقة... «نادي الكبار» كان بالفعل ثنائية مارونية - سنّية مع غلبة للأولى. وقد التحقت به الطائفة الشيعية (التي لم تكن يوماً صغيرة) بدءاً من الستينات وفعلياً من السبعينات وفي العقود اللاحقة بدون توقف، وصولاً إلى صيغة ترويكا في التسعينات التي تسمى أحياناً مثالثة أو محاصصة ثلاثية بين السنة والشيعة والموارنة. والبعض يحبّ أو يخشى، لا فرق، أن يعتبر أنها صارت الطائفة الأولى في لبنان، والمقصود الأقوى لأسباب لها علاقة بالسلاح الذي تقتنيه.

أخيراً وليس آخراً، قد يُقال كثيراً بين فقهاء الدين والسياسة، وبين المؤرّخين وكلّ اختصاصيي العلوم الاجتماعية، عن التبسيط الذي يواكب هذه المقاربة، وأنّ من الممكن القول أحسن بكثير عن هذه الموضوعات، وهذه الحقيقة بعينها. ولكن، احتساباً لما سمّيناه الدور الشعبي في فرض هذا الاستحقاق وهذا الإصلاح، ارتأينا الاعتماد على الفكر والتوجه إلى القلب من دون مخالفة المعلومات ومن دون الطموح إلى الكمال، لمن لا يتفهّم هذا الخيار، على الأقل فليسامحه، وإن تعذّر عليه هذا الشعور فليناقشه، وعند الضرورة فليحاسبه.

المبدأ الأول: الدولة راعية الأحوال الشخصية لأبنائها كافة ومانحة حق التنظيم القانوني لمسؤولين عن المذاهب...

يبدو الوضع قائماً منذ الآن ولا يحتاج إلى إصلاح: فالدولة ترعى الأحوال الشخصية، وهي التي تعترف بالمذاهب. لندقق قليلاً: ماذا يعني أنك لا تستطيع أن تكون لبنانياً إلّا إذا كنت تنتمي إلى أحد المذاهب التي تعترف بها الدولة؟ يعني أنك لا تستطيع أن تكون بوذياً ولبنانياً، ولا تستطيع أن تكون ملحداً ولادرينيّاً ولا «أنتمي إلى إحدى الطوائف المعترَف بها من دون تصريح»، ولا «لا أنتمي إلى إحدى الطوائف المصرّح بها، ولكن أنتمي لغيرها»، ولا «لا أنتمي إلى أي طائفة من دون أن أكون ملحداً» إلخ... هذا يعني أن الطوائف المعترف بها هي التي تمسك الدولة أو على الأقل تمسك المواطنين، وليس الدولة التي ادّعت أنها اعترفت بها.

تدبير إداري سحري عام 1932

كيف حصل هذا الزحل؟ عندما صارت وثائق الأحوال الشخصية (ووثيقة الولادة مثلاً) تتضمن خانة المذهب وتذكره (في البداية كما يقولون لتسهيل عمليات الإحصاء عام 1932) زحل هذا التدبير السحري الإداري إلى الوثائق الرسمية. بنيّة تسهيليّة مؤقتة لعملية محددة أو بسوء نية متعمّدة لتعميمه على كلّ شيء؟ لا نريد أن نناقش هذا الموضوع الآن.

قبله، لم تكن واردة خانة «المذهب» والابن يتبع مذهب والده فعلاً باعتباره قاصراً وليس باعتباره أعتنق هو المذهب الديني، وهو ما لا تقبل به الشرائع الدينية، ولا القانون المدني ولا الحقيقة. بعده، لم يعد ممكناً إصدار الوثيقة الرسمية من دون ذكر خانة المذهب إلى أن نجحت مجموعة مواطنية (المركز المدني للمبادرة الوطنية) في معركة انتهت عام 2008 بتحصيل حقّ الشطب والأصح التصحيح في السجلات الرسمية، أي باستبدال ذكر المذهب بشطحة قلم. عدم التصريح عن أي معلومة لا يعني شيئاً عن دين أو مذهب أو طائفة «الشاطب» بل يعني أن شاطب الإشارة اختار عدم التصريح في المجال العام عن أيّ دين أو مذهب، ويعني أنه يحصر علاقته مع الدولة ومع باقي المواطنين بكونه مواطناً. أمّا دينه ومذهبه فهذا يعود إلى علاقته مع نفسه وإلى علاقته مع مجموعته الدينية إن كان له من علاقة مع مجموعة محدّدة. أمّا في الأحوال الشخصية فيتبع القانون المدني كما يتبع قانون الإرث المدني الصادر عام 1959، وأما إذا كان هو الوريث فيخضع لقانون الشخص الذي يرث منه. (كل هذه المعلومات مأخوذة من وثائق المركز المدني للمبادرة الوطنية).

> **علينا أن نطالب بإلغاء مذهبية الرؤساء فوراً، لتحرير الرئاسات من السطو الذي يتحكّم بها**

> **الطوائف المعترف بها هي التي تمسك المواطنين، وليس الدولة التي ادّعت أنها اعترفت بالطوائف**

من مجرّد تدبير إلى أغلظ «قانون»

اليوم من جديد، ومع عشرات من المواطنين والمواطنات وتحت إشراف «المركز المدني» ومع هيئات أخرى، تُخاض معركة إسقاط الإشارة إلى المذهب في الوثائق الرسمية ومن وثيقة الولادة لإعادة الوضع كما كان عليه قبل التدبير الإداري في الثلاثينات الذي تحوّل من «تدبير» إلى أغلظ «قانون» في الحياة العامة، مع أنّه متناقض مع القانون والدستور والمواثيق الدولية التي أقرّتها الدولة من دون أيّ تحفّظ (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، العهد الدولي لحماية الحريّات المدنية والسياسية، واتفاقية حقوق الطفل).

ولأننا لسنا في دولة علمانية ولا نتمنى بالضرورة، نرى أنه إيماناً بالحرية الفردية التي نعتقد بها كمبدأ أوّل، يجب أن يحقّ لأيّ مواطن عند إدراكه سن الرشد أن تمنحه الدولة حق التحرر منها (وذلك أبعد من الدولة العلمانية التي تسمح للفرد بتبنّي ما يريد شرط الالتزام بقوانينها حصراً) ومن قوانينها الشخصية، والالتحاق بقانون مذهبه.

المبدأ الأول: الدولة راعية الأحوال الشخصية لكل أولادها ومانحة حق التنظيم القانوني لمسؤولين عن المذاهب

«الدرابزين» الضامن 1: بعكس الدولة العلمانية وأبعد منها، تمنح الدولة إلى المواطن/ة حق التحرر منها في الأحوال الشخصية والالتحاق بقانون مذهبه عند بلوغه سن الرشد القانوني.

المبدأ الثاني: كل مواطنة ومواطن لها وله الحق في شغل أي مركز إداري سياسي رئاسي من دون استثناء.

«الدرابزين» الضامن 2: خلال ثلاث ولايات رئاسية متتالية، إلغاء مذهبية الرئاسات يُواكَب بعرف المواطنين الثنائي بدلاً من عرف السياسيين الثلاثي:

كلّ هذه الأفكار التي أعيد توليفها بسرعة مأخوذة من الأستاذ طلال الحسيني ومن المبادرة الوطنية، وأنا أتحمّل بالتأكيد مسؤولية الأخطاء الواردة فيها.

المبدأ الثاني: كل مواطنة ومواطن لها وله الحق في إشغال أي مركز إداري سياسي ورئاسي بدون استثناء.

أعيد قراءة هذه الجملة وأفكر في أنها بديهية. وفي المقابل، لو كانت الدول تدخل السجن، لكان عدم اعتناقها كفيلاً بإدخال لبنان السجن، إما بتهمة التمييز بين المواطنين أو لتغذية التفرقة بين مواطني البلد الواحد.

أيّاً يكن، بعد ولادة لبنان الكبير مع أنه كانت هناك مؤسسات ناشئة ومراكز رئاسية وسياسية وإدارية، كانت كلمة الفصل في كل القضايا، من سياسية أو غير سياسية، للمفوض السامي الفرنسي. أضيء كلامي بمثل واحد: عام 1932، عندما سنحت الفرصة لمحمد الجسر بسبب خلافات الزعماء الموارنة التنافسية بالوصول إلى سدة الرئاسة، تدخّل المفوض السامي فوراً لتعليق الدستور حتى لو برّر تدبيره بظروف اقتصادية دولية!

درس خاص للشباب... والكبار أيضاً؟

وقبل الاستقلال، يهمّ ربما القراء الشباب الذين يجهلون هذه التفاصيل، أن رئاسة الجمهورية التي بقيت دائماً بأيدي المسيحيين عرفت 10 ولايات (منها اثنتان بصفة انتقالية من قبل قائدَين فرنسيَّين، واحدة من 28 يوماً وأخرى من 5 أيام). أما الثماني الباقية، فقد تمت 5 مرات بالتعيين و3 مرات فقط بالانتخاب. وقد شغل المنصب 7 رؤساء (واحد فقط تسلّم الرئاسة مرتين في حقبات متباعدة). ومن أصل السبعة، كان هناك 4 موارنة و3 من غير الموارنة (اثنان أورثوذكسيان و1 بروتستانتي). أول رئيس كان من الأورثوذكس وكان منتخباً وعرف أطول ولاية (7 سنوات ونصف). أما الاثنان الباقيان فكانا معيّنَين واستمرت ولاية الأول 4 أشهر والثاني 3 أشهر. قصة رؤساء الوزراء قبل الاستقلال مختلفة: عرف لبنان قبل الاستقلال 18 حكومة ترأس السُنّة 8 والمسيحيون (من طوائف عدة) 10. وقد شغل الرئاسة 7 من أهل السُنّة و7 من المسيحيين. والرئاسة الأولى لسُنّي كانت ثامن وزارة وفي عام 1934.

وكذلك قصة رؤساء مجلس النواب قبل الاستقلال، إذ من أصل 10 رؤساء لم يجدّد منهم أحد، تبوأ الكرسي الأعلى 6 موارنة و2 من السُنّة و2 من الأورثوذكس.

بعد الاستقلال، صارت القصة أسهل بكثير، عُقد عُرف السياسيين الثلاثي الذي أعطى الرئاسة لأحدهم من الطائفة المارونية ورئاسة الحكومة لأحدهم من الطائفة السنية ورئاسة مجلس النواب - التي هي الرئاسة الثانية بروتوكولياً ومؤسساتياً لأن الحكومة تنتج عن البرلمان - لأحدهم من الطائفة الشيعية. والاستثناء الوحيد في هذا الانتظام التعارفي هو وصول أورثوذكسي إلى رئاسة المجلس الثاني بعد الاستقلال. وظرفياً ترؤس جنرالين مارونيين (مثل الفرنسيين ورئاسة الجمهورية!) رئاسة الحكومة فترات الفراغ الرئاسي.

ولكن بالتأكيد، التوزيع الطائفي لا يقتصر على الرئاسات كما هو معروف ويمتدّ إلى المراكز النيابية حيث سرت دائماً (تعييناً أو انتخاباً) قاعدة الأحد- عشرية التي أعطت للمسيحيين 6 مقاعد من كل 11 مقعداً، وللمسلمين 5. واستمرت هذه القاعدة حتى اتفاق الطائف الذي أقرّ المناصفة بين المسلمين والمسيحيين. أما المناصفة الحكومية فهي معتمَدة منذ الاستقلال، مع استثناءات قليلة.

التخصيص مدخله الانحطاط

التخصيص الطائفي في المراكز الإدارية كان مقتصراً على عدد قليل من المواقع التي كانت تُعتبر «حساسة»: قيادة الجيش المعقودة للموارنة وفترات الفراغ الرئاسي مثلاً. وأيضاً، في حاكمية مصرف لبنان بعد تأسيسه، وما أدراك عن حساسية المال. ثم توسعت بخجل رويداً رويداً لتغطي على التفرّد الماروني، فطالت قيادة قوى الأمن الداخلي ورئاسة هيئة الأركان ومراكز أخرى. اتفاق الطائف ألغى الطائفية في الإدارة (هذا لم يمنع أنها تزايدت) إلا في مراكز الفئة الأولى مؤقتاً مع اعتماد المناصفة من دون اللجوء إلى التخصيص. أدت آلية المحاصصة إلى أبشع أنواع التعيينات والتخصيص، فصارت رئاسة مجلس الإنماء والإعمار للسنة ورئاسة الجامعة اللبنانية للشيعة على سبيل المثال لا الحصر. وزحلت هذه الممارسات إلى المواقع الوزارية، والمساحة تنقص هنا للتفصيل.

ربما أوضح مثال على هذا الانحطاط (لا يوجد كلمة أخرى) يمكن قراءة تعبيراته في تعابير الرئاسات: بعدما كانت الرئاسات لكل اللبنانيين، مع أنها معقودة لرجل من إحدى الطوائف الثلاث الكبيرة (عددياً)، صار يقال إن رئاسة الجمهورية للموارنة ورئاسة الحكومة للسُنّة ورئاسة المجلس للشيعة. وأخيراً بتنا أمام بدعة أن الرئاسة لأقوى الموارنة والسنة والشيعة في تشويه ممنهج لإمكانية استقامة ما يستحق تسميته بالدولة.

جورج قرم وإدمون رباط

أكتفي بهذا الوصف - وقد طال - لأنتقل إلى الموضوع المهم. لا يمكن إصلاح الدولة إذا ما كانت هناك مراكز إدارية، وزارية أو رئاسية مكرسة للطوائف. وأول من دلّني إلى هذه الاستحالة هو الوزير جورج قرم في أواخر التسعينات إذ قال لي: «الطائفية كالفساد والوسخ، لا تُلغى من تحت إلى فوق. والطائفية تحديداً إذا ألغيتها من تحت ستلجأ وتهرب إلى فوق. المثل المقنع والمجدي الوحيد لفائدة إلغائها لن يأتي إلا من فوق». وإذا كان لنا أن نحكم في المجال الذي ألغيت فيه من تحت، أي المستوى الإداري، فصحّة كلام الوزير قرم لا تتطلب دليلاً.

كذلك، لا مجال لـ«بناء» شعب لبناني أو الرهان عليه إذا لم يكن كل لبناني ولبنانية يستطيع أن يشغل أي منصب في هذا البلد. هذا الكلام علمني إياه العلامة إدمون رباط في نهاية السبعينات. رجل كان نائباً عن الكتلة الوطنية (السورية) في الثلاثينات عن حلب قبل أن يتجنّس ويصبح مرجعاً في التكوين الدستوري اللبناني. وأسمح لنفسي بالإضافة اليوم، أن لا مجال لإعادة الدولة اللبنانية التي انحطت ثم انهارت (أو العكس لا فرق) إذا لم تكن الجدارة عند أي لبنانية ولبناني كافية لكي تسمح له بإشغال أيّ مركز في وطنه.

فوراً فوراً... وبهقة الشعب اللبناني

بلى، علينا أن نطالب بإلغاء مذهبية الرؤساء فوراً، لتحرير الرئاسات من السطو الذي يتحكّم بها. وأسبق الصراخ الآتي لا محالة من الطوائف الثلاث الكبرى (أو من العلمانيين العقائديين)، الذي سيقول إننا نريد حرمانها من حقوق مكتسبة (أو إننا نخرق المبدأ الذي وضعناه)، بالقول إنه تطميناً للجميع ومن دون خرق قاعدة المساواة المؤمّنة، علينا أن ننتج عقداً حراً بين المواطنين بدلاً من العرف السابق بين السياسيين. وهذا العقد يقبل (مثلاً) أن خلال الولايات الرئاسية الثلاث المقبلة، إذا ما كان رئيس الجمهورية من المسلمين من دون تفصيل مذهبه يكون رئيس الحكومة من المسيحيين من دون تحديد مذهبه. والعكس بالعكس.

هذا الإلغاء بداية. وهذا العقد لن يقوم، ولن يكون، إلا إذا طالب المواطنون اللبنانيون به أولاً وتعاقدوا عليه ثانياً، وفرضوه بالضغط الشعبي. وهذا الإلغاء، وكذلك العقد بالتخطي، لا يتطلبان إصلاحاً دستورياً، ولا يمسّان بالانتظام المؤسساتي، إذ إنه وفق الدستور على الحكومة أن تستقيل حكماً عند انتخاب الرئيس. إنه لا يتطلب إلا حسماً مواطنياً. وهذا الإلغاء (إذا ما اقترن بالعقد) سيضمن لكل لبناني ولبنانية أن يشغل أي منصب في بلده، ولابن أو بنت أي طائفة أن يطمح بأي رئاسة (في الولايات الرئاسية الثلاث الأولى برئاستين من أصل ثلاثة فقط)، ويؤمن له أو لها كمواطن/ة لبناني/ة حق تمثيل اللبنانيين كافة وليس الذين يتشاركون معه قناعاته الدينية فحسب. فالرئاسات ليست للطوائف.

كلمة أخيرة، أسأل دائماً عنها: قبل أو بعد إلغاء الطائفية يمكن هذا؟ والجواب: فوراً فوراً. فهذا لا يمتّ بصلة إلى إلغاء الطائفية، إنما هو تحرير الرئاسات مما وقعت فيه ومما يمنع إعادة بناء الدولة ومما يميز بيننا كأبناء وطن واحد. إلغاء الطائفية وارد في البيان الوزاري الأول بعد الاستقلال، ووارد في وثيقة الطائف في آليات أخرى قيّمة. أكرر مذهبية الرئاسات عُرف، وهي عرف خجول، مع أنه من معدن صلب، وإلغاؤه لا يتطلب إصلاحاً دستورياً.

أما العقد فنحن نعقده في ما بيننا إذا ما شئنا. وأعتقد أنه ضروري خلال فترة انتقالية محددة زمنياً لعدم جعل إلغاء مذهبية الرئاسات ضحية الألاعيب والتهويلات المعهودة.

فوراً فوراً، قبل إلغاء الطائفية، يحرك المياه العفنة ويعيد إلينا الرئاسات والأوكسيجين الذي نحن بأمسّ الحاجة إليه لنعود ونلتقي. بعد إلغاء الطائفية، يخدم العقد كشبكة أمان لئلا يأخذنا قرار سليم إلى نتيجة مشؤومة، كما حصل مع إلغاء الطائفية الإدارية.

هذا المقال كُتب للبنانيين واللبنانيات. لكل واحدة وواحد منا. لا مانع لديّ إذا ما قرأه الزعماء والرؤساء والنواب، فهم جزء من شعبنا، بالرغم من كل شيء. وليس المجال هنا للحديث عن هذا الكل بشيء.

أخيراً، لا مشكله إذا ما قرأه أيضاً مسؤولو الدول التي تصرح بأنها صديقة وبأنها تريد أن تغلّب مصلحة لبنان. هذا المقال ليس مشروعاً أو اقتراحاً أو ما شابه. إنه دعوة إلى العمل والعمل ليتشكل رأي عام لاطائفي منظم... ومن ثم للضغط ثم الضغط لفرض المبدأين على القوى السياسية (أو إقناعها بهما)، سيكون من الضروري تنظيم حملات على مبدأ واحد أو على المبدأين معاً، وهو أحسن. اليوم، بدأ القرن الثاني وعلينا أن نشق طريقاً ونسلكه.

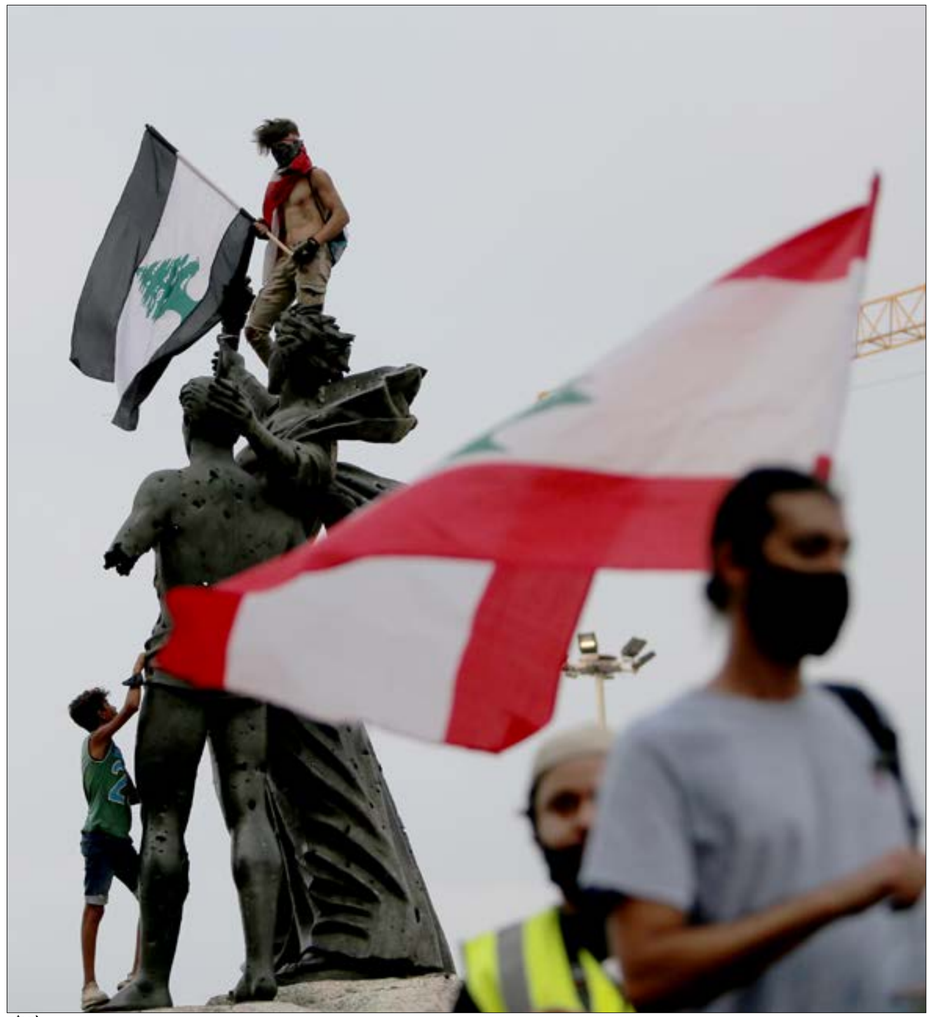

(هيثم الموسوي)

على الغلاف نحو 90 مليار ليرة، تقريباً، تجنيها شركات التأمين، سنوياً، من بوالص السائقين المؤمَّنين لديها إلزامياً. الرقم كشفته لجنة الصحة النيابيّة، في شباط الماضي، لدى دراستها اقتراح قانون، لقي معارضة شرسة من شركات التأمين، يقضي بضمان وزارة الصحة للأضرار الجسديّة الناجمة عن حوادث السير. الاقتراح يعود إلى الواجهة، اليوم، مع إحالة وزير الداخليّة محمد فهمي (الرقم 5639) له، في حزيران الماضي، إلى أمانة سرّ اللجنة الوطنية للسلامة المروريّة للدرس وإبداء الرأي

شركات «التأمين الإلزامي» لا تدفع ولا تحيد من درب «الدفّيعة»!

أيلده الغصين

بين تهرّب عدد من شركات التأمين عن التغطية بذريعة «العقود والشروط»، والتعثّر المالي لبعضها أخيراً، يبقى قسم كبير ممن يصابون بحوادث السير من دون تغطية استشفائيّة، رغم أنهم «مؤمَنون» إلزامياً. وبدل أن يقصد المتضرّرون، في حالات مماثلة، المؤسسة الوطنيّة للضمان الإلزامي أو لجنة الرقابة على هيئات الضمان للشكوى ضد الشركات التي تتخلّف عن الدفع، يلجأون إلى وزارة الصحة والضمان الاجتماعي للتغطية... ولأن هذا «اللجوء» واقعٌ حتماً، كان الاقتراح بأن تتكفّل وزارة الصحة بالتغطية الاستشفائية للمتضرّرين من حوادث السير، على أن تستوفي الرسوم منهم، بدل أن تقدم (ومعها الضمان الاجتماعي) هذه التغطية من دون مقابل، فيما لا تفعل معظم شركات التأمين سوى جباية الرسوم من حاملي البوالص.

اقتراح القانون الذي قدّمه النائب بلال عبد الله إلى المجلس النيابي، العام الماضي، اعترض عليه بشراسة، «تكتّل» الضامنين وشركات التامين بحجّة عدم إمكانية تطبيقه، بسبب نقص الموظفين في الوزارة (!)، ولعدم قدرتها على الجباية، ولأسباب أخرى، فيما «بيت القصيد» في مكان آخر: هذه الشركات لن تتخلّى عن مصدر دخل رئيسي لا تنفق منه الكثير على حاملي البوالص.

الاقتراح أحيل إلى مجلس الوزراء، وأبدت بشأنه وزارة المالية مطالعتها (الرقم 2043، تاريخ 2019/7/20) ووزارة الصحة ملاحظاتها (الرقم 19/1/14578 تاريخ 2019/10/1) وهيئة إدارة السير والآليات والمركبات (وزارة الداخلية) مطالعتها (الرقم 2019/31257 تاريخ 2020/3/5). وهو لا يزال موضع نقاش في لجنة الصحة النيابية التي أعلنت، في جلسة في 18 شباط الماضي، لـ«اعتبارات متعلّقة بشموليّة الموازنة»، أنها مستعدّة لطيّ اقتراح عبد الله، شرط أن يقدّم وزير الاقتصاد (الذي تتبع لوصايته لجنة الرقابة على هيئات الضمان وشركات التأمين الإلزامي) «ضمانات بوقف عمل أي شركة تخالف هذا الأمر، واتخاذ إجراءات قاسية بحقها». بعد تلك الجلسة، دخل لبنان دوامة كورونا والتعبئة العامة والضغط الاستشفائي والاقتصادي، ولم تأتِ ضمانات وزارة الاقتصاد بمستوى الوضع المأزوم، فكانت أزمة إعلان شركات التأمين أنها لن تغطّي مصابي كورونا مثلاً، ثم ضجّة إعلانها (وتراجعها لاحقاً) عن استيفائها البوالص بالدولار... وهو ما يبيّن أن شركات التأمين الخاصة تضع الأولويّة لأرباحها الماليّة قبل صحّة حاملي بوالصها، في غياب الإجراءات الصارمة بحقّها، ما عدا ما تعلن عنه لجنة الرقابة على هيئات الضمان من «تفتيش» وتكريسها خطاً ساخناً للشكاوى.

> معارضة «شرسة» لنقل ضمان مصابي حوادث السير إلى وزارة الصحة

رئيس لجنة الصحة النيابية عاصم عراجي أوضح في اتصال مع «الأخبار» أن «الاقتراح لا يزال لدى اللجنة، إنما استجدّت مشاكل عدة، من بينها الوضع الصحّي، فلم يعد أولويّة. ولكن لا مانع من العودة لدرسه». وفيما تؤكد مصادر وزارة الداخلية أن «الاقتراح إيجابي ولا اعتراض من الوزارات على تكفّل الصحّة بالمصابين»، أشارت مصادر وزارة الصحة إلى «أننا طلبنا دراسة جدوى للسنوات الخمس الماضية، بشأن هذا الطرح، لنتبيّن التكاليف وقدرة الوزارة على التغطية مع ازدياد أعداد من باتوا بلا ضمان ممن فقدوا وظائفهم».

الشركات لن تتخلى عن مصدر دخل تنفق منه الكثير على حاملي البوالص (مروان طحطح)

وتضيف: «الاقتراح بحاجة إلى تعديلات، وربما الى إنشاء صندوق خاص بالوزارة».

رغم اعتراض الشركات، أحال وزير الداخليّة والبلديّات محمد فهمي (الإحالة الرقم 5639)، في 4 حزيران الماضي، اقتراح القانون مضمّناً كتاب هيئة السير والمركبات والآليات، إلى أمانة سرّ اللجنة الوطنيّة للسلامة المروريّة، للدرس وإبداء الرأي الاستشاري. أمانة السرّ عرضت الاقتراح على أعضاء اللجنة الذين تحفّظ عدد منهم عليه، ولا سيّما رئيسة لجنة الرقابة على هيئات الضمان بالإنابة نادين حبّال ورئيس جمعية شركات الضمان في لبنان إيلي طربيه... ولم تقدّم الأمانة إلى حينه جوابها لوزير الداخليّة. جواب اللجنة، في حال جهوزه، يفترض أن يُعرض على المجلس الوطني للسلامة المرورية مضمّناً توصيات وزير الداخلية، ليُعرض بعدها على مجلس الوزراء.

من بين مؤيّدي الاقتراح، أمين سرّ اللجنة الوطنية للسلامة المرورية رمزي سلامة، الذي قدّم مطالعته وملاحظاته ضمن اللجنة، وهو أوضح لـ«الأخبار» أن المبدأ الأساسي هو «الحقّ بالصحة للجميع، وتأمين الاستشفاء الفوري من دون استثناءات لكل مصاب في الصدامات المروريّة، بدلاً من انتظاره في طوارئ المستشفى أو التأخّر بعلاجه وتعريضه للإعاقة أو الموت... من ثمّ تتمّ دراسة حدود تحمّل الأعباء من وزارة الصحة لأنها حالياً تتكفّل بجزء من المصابين». وهذا الموضوع، بعكس ما يراه أصحاب شركات التأمين، «ليس تعدّياً على مهام قطاع التأمين، بل هو واجب الدولة تجاه مواطنيها لحمايتهم من الوفاة والإعاقات الدائمة». وعن الملاحظات حيال جباية الاشتراكات من قبل الوزارة، يرى سلامة أن «ذلك لن يحصل، ولن تسدّد الوزارة أي تعويضات متعلّقة بالإصابات الجسديّة والأضرار الماديّة الناتجة من الصدامات المروريّة».

المسألة، بنظر سلامة، أبعد من ملاحظات على اقتراح قانون يمكن تعديله وتحويله إلى مشروع قانون بمراسيم تطبيقيّة حديثة، بل هي مرتبطة بـ«عقد العمل من أجل السلامة المروريّة على الطرق، وهو عقد دولي صدر قبل 10 سنوات، تشدّد ركيزته الخامسة على العناية بمصابي الصدامات، وتبدّل بعده الاهتمام الدولي بالسلامة المرورية والمتضرّرين منها، وخصوصاً أن المرسوم الاشتراعي (الرقم 1977/105) ومراسيمه التطبيقيّة، باتت قديمة جداً وتحتاج إلى تحديث، وفيها الكثير من الاستثناءات حيال التكفّل بالأضرار الجسديّة للسائق ومن معه (50 في المئة من أضرار الغير) فمن يتولّى الباقي؟». ويطرح سلامة جملة أسئلة حيال «مشاكل الضمان الإلزامي، والمبالغ المتراكمة لدى المؤسسة الوطنية للضمان الإلزامي من دون أن تكون وجهتها تغطية استشفاء من ليسوا مضمونين إلزامياً؛ إلى تعويضات لم تدفع إلى حينه لحاملي البوالص تعود إلى أعوام سابقة، وفق آخر تقرير أصدرته شركات التأمين عام 2018، علماً بأن العرف العالمي يوجب دفع التعويضات خلال سنتين من الصدام».

أما المعترضون، فلديهم مقاربة مختلفة، تنطلق من أن «التأمين لا يدخل ضمن مهام وزارة الصحة ولا يمكنها جباية الرسوم، بل إن أي خطوة من هذا النوع تحتاج إلى دراسات اكتواريّة وفنية وتقييم وليس إلى مواقف شعبويّة»، وفق حبّال التي أعلنت «التحفّظ عن الاقتراح، وقد أطلعت وزير الداخليّة على رأيي وكذلك أعضاء اللجنة»، كما تقول لـ«الأخبار». وتردّ حبال على مشاكل الضمان الإلزامي وتلكّؤ شركات التأمين في التعويض على المتضرّرين، بأن «من مهامنا اتخاذ الإجراءات بحقّ الشركات المتخلّفة عن الدفع، وهو ما نقوم به، كما اتفقنا مع الضمان الاجتماعي على عدم تغطية استشفاء من يملكون بوالص إلزامية». كذلك أبدى طربيه، وهو عضو الهيئة الوطنية للسلامة المرورية، تحفّظه عن الاقتراح الذي «سقط بالنسبة إلينا، ونناقش موقفنا في اللجنة»، وفق ما أكد لـ«الأخبار». موقف طربيه ينطلق «من عدم القبول بتجزئة البوالص بين تعويض واستشفاء»، وسأل: «كيف لوزارة الصحة التكفّل بالمصابين ولديها مبالغ مستحقة غير مدفوعة للمستشفيات، وهل من مداخيل للدولة للتغطية في هذا الظرف؟ إضافة إلى أن هذه النقلة تحتاج إلى فترة انتقاليّة حرجة». رأي طربيه لا يبتعد عن فكرة عدم سحب التأمين الإلزامي من يد شركات التأمين «إذ إن 90% من البوليصة تذهب لكلفة الاستشفاء، وعندها لا مصلحة للمواطن للتأمين لدى الشركات!». ومن دون أن ينفي عدم التزام شركات التأمين بالتعويض على العديد من المتضرّرين، يشير إلى أن «الموضوع متعلّق بعدم تبليغ الشخص أنه مؤمّن لدى المستشفى، لكن فور تبلغنا بحالات من هذا النوع، نتواصل مع شركة التأمين ويُحل الموضوع»، سائلاً: «إذا أصبحت التغطية بيد وزارة الصحة، هل يمكن للمتضرّر رفع شكوى على الدولة؟».

ملف الضمان الإلزامي وضرورة إعادة النظر فيه، لا ينطلق من واقع تقاعس شركات التأمين وحسب، بل من ضرورة معالجة وزارة الاقتصاد «الفجوة القانونيّة» بين المراسيم التطبيقيّة ونص المرسوم الاشتراعي الذي حدّد مهام المؤسسة الوطنية للضمان الإلزامي. فقد أنيطت وفق المادة 9 من المرسوم الاشتراعي (الرقم 1977/105) المتعلّق بالضمان الإلزامي بمهمّة «دفع التعويضات عن الأضرار الجسدية في حالات، مثل الأضرار التي تسبّبها مركبة غير مضمونة أو مركبة مجهولة، كما الأضرار التي تسبّبها مركبة عجزت هيئة الضمان المعنيّة عن دفع التعويض المتوجّب عليها بسبب إفلاسها أو توقفها عن الدفع». غير أن المرسوم التطبيقي (الرقم 2003/9585) حصر مهام المؤسسة خلال مرحلة أولى بتحديد نموذج عقد الضمان الإلزامي وتعرفة أقساط الضمان الإلزامي، من دون أن يأتي على ذكر باقي المهام المحدّدة في القانون، ومن بينها موضوع دفع التعويضات؛ إضافة إلى إبطال مجلس شورى الدولة (عام 2017) القرارات التنظيمية الصادرة عن المؤسسة والمتعلّقة بنموذج عقد الضمان الإلزامي وبتعرفة أقساط الضمان. وعليه، يرى حقوقيّون أنه في الوضع الصحي والاقتصادي الراهن توجد حلول أكثر واقعية وأسرع تطبيقاً، تبدأ أقلّه بتعديل المرسوم التطبيقي (الرقم 2003/9585) عبر توسيع نطاق مهام المؤسسة الوطنية للضمان الإلزامي (شرط وضع تقارير دقيقة حول وارداتها) لتشمل تغطية الأضرار في حال عجزت بعض شركات التأمين عن تغطيتها، في مقابل التزام الشركات بتسديد نسبة من أقساط التأمين الإلزامي لمصلحة هذه المؤسسة، انسجاماً مع أحكام قانون الضمان الإلزامي (المرسوم الاشتراعي الرقم 1977/105) وتطبيقاً لها بعدما جرى تعطيلها بموجب المرسوم التطبيقي المذكور.

كورونا

كورونا يفتك بطرابلس: هل تُفرض إجراءات قبل وقوع الكارثة؟

عبد الكافي الصمد

حتى الآن، «تسير» إصابات كورونا في معدلاتها الكارثية المتوقعة من قبل وزارة الصحة التي «تنبأت» قبل أسبوع ببلوغ الإصابات الفعلية بالوباء عتبة الـ 15 ألفاً قبل نهاية الأسبوع الثاني من شهر أيلول الحالي. أمس، وصل عدد هؤلاء إلى 13 ألفاً و715 شخصاً بعدما أعلنت وزارة الصحة العامة مساءً تسجيل 527 حالة جديدة (525 مُقيماً ووافدان) من أصل تسعة آلاف وتسعة وتسعين فحصاً مخبرياً، فيما سُجلت أربع وفيات ليرتفع عدد ضحايا الفيروس منذ دخوله إلى لبنان الى 183 شخصاً.

آنذاك، استندت توقعات الوزارة إلى فوضى الاختلاط التي خلّفها انفجار بيروت، والتي كان من الطبيعي أن «نحصد» نتائجها خلال الأسابيع الماضية، وخصوصاً في منطقة بيروت، فيما بيّن تتبع الحالات وقتها أن طرابلس مُقبلة على سيناريو مُقلق بسبب اختلاط بعض المُقيمين في المدينة بمصابين في بيروت أثناء الاحتجاجات التي حدثت في العاصمة عقب الانفجار، على ما أفادت مصادر الوزارة سابقاً لـ«الأخبار».

اليوم، يتضّح أن «نبوءة» الوزارة قد صدقت (سواء كان تحليلها للارتفاع المتوقع للإصابات دقيقاً أو لا)، مع «قفز» أعداد المُصابين في المدينة من 151 شخصاً في 6 آب الماضي إلى 1222 مُصاباً، لتحتل طرابلس المرتبة الرابعة في لبنان لجهة أعداد المُصابين.

هذه المعطيات تأتي فيما لا تتوفر في المدينة التجهيزات المطلوبة لمواجهة الفيروس على صعيد القطاع الاستشفائي والصحي، كما سائر المناطق، فيما لا يبدو أن جهوداً تُبذل في المنطقة لمنع تفاقم الكارثة عبر التشدّد في إجراءات الوقاية والتباعد الاجتماعي. ففي 15 آب الفائت، أعلنت وزارة الصحّة عزلَ أربع مناطق بسبب تفشّي الفيروس فيها على نطاق واسع، من هذه المناطق منطقة باب التبّانة بمدينة طرابلس، التي تعدّ الأكبر والأكثر كثافة سكانياً والأشدّ فقراً، لكن من زار تلك المنطقة في أعقاب القرار لم يلمس أيّ ترجمة عملية له: لا سلطة لتنفيذه، ولا توعية، وقلّة من المارة في الشوارع المكتظة يرتدون كمامة!

> تحتل طرابلس المرتبة الرابعة في لبنان لجهة أعداد المُصابين

لكن أعداد المصابين، كما الوفيات، لم تقتصر على أبناء «التبانة». إذ أصيب بالفيروس سكان أحياء مختلفة من طرابلس والميناء.

أسباب ارتفاع أعداد المصابين في طرابلس على هذا النحو يردّها رئيس لجنة البيئة في بلدية المدينة نور الأيوبي إلى أنّ «تأخر ظهور الإصابات في طرابلس، منذ ظهور أول إصابة في لبنان في 21 شباط الماضي، جعل الاستخفاف بخطر الفيروس سيّد الموقف، مع اعتقاد خاطئ ساد طرابلس بأن المدينة محصّنة في وجه الفيروس، من غير أن يستند هذا الاعتقاد إلى أي أساس علمي أو طبّي أو منطقي».

وغير بعيد عن طرابلس، كان طبيعياً أن تتخذ خلية الأزمة والكوارث في الضنّية برئاسة قائمقام القضاء رولا البايع قراراً هو الأول من نوعه في المنطقة يقضي بـ«إغلاق بلدة بيت الفقس لمدة 5 أيام، بعد تزايد أعداد المصابين بشكل ملحوظ، ولمنع انتشار الفيروس»، وبعد وصول عدد الوفيات بالفيروس إلى 6، ما دفع رئيس اتحاد بلديات الضنية محمد سعدية إلى استنفار خلية الأزمة في الاتحاد بالتعاون مع خلية الأزمة في البلدة، والقيام بحملات توعية ضمن الإمكانات المتاحة.

دوري الأمم الأوروبية

جولة «مشتعلة» في البطولة القارية
الأعين مصوّبة إلى المجموعة الثالثة

تعرّض رونالدو لإصابة قد تبعده عن اللقاء (أ ف ب)

تتجه الأنظار اليوم إلى المجموعة الثالثة من دوري الأمم الأوروبية التي تشهد مباراتين من العيار الثقيل، تجمع الأولى حامل اللقب في النسخة الماضية منتخب البرتغال مع كرواتيا، في حين تجمع الثانية منتخب فرنسا، بطل العالم، مع السويد

حسين فحص

يلتقي المنتخبان البرتغالي والكرواتي اليوم في قمة منافسات الجولة الأولى من المجموعة الثالثة لدوري الأمم الأوروبية. ستُلعب المباراة على ستاد الدراغاو، (21:45، بتوقيت بيروت).
أبصرت البطولة النور في العام الماضي، وقد فاز منتخب البرتغال في

> يسعى منتخب كرواتيا إلى إنهاء سجله السلبي أمام البرتغال

نسختها الأولى. غاب حينها النجم الأول للمنتخب كريستيانو رونالدو عن الأدوار الأولى من المسابقة لكنه عاد وسجّل ثلاثية أمام سويسرا (3-1) في دور نصف النهائي، قبل أن يقود زميله غونزالو غويديس البرتغال إلى التتويج باللقب بعد إحرازه هدف المباراة النهائية أمام منتخب هولندا.
يمتلك منتخب البرتغال منظومة شبه متكاملة، يبرز منها جناح مانشستر سيتي الشاب بيرناردو سيلفا، متوسط مانشستر يونايتد برونو فيرناندين، مهاجم أتلتيكو مدريد جواو فيليكس ونجم يوفنتوس والمنتخب كريستيانو رونالدو. هذا الأخير معرّض للغياب عن المواجهة المرتقبة أمام كرواتيا، إذ أعلن الاتحاد البرتغالي لكرة القدم غياب رونالدو عن تدريبات المنتخب البرتغالي الخميس بسبب إصابة في قدمه، ولم يعلن الاتحاد عن المدة التي سيحتاج إليها اللاعب للتعافي.
في حال جاهزيته لمباراة كرواتيا، سيحاول رونالدو جاهداً التسجيل بهدف تحطيم رقم قياسي جديد، ومساعدة منتخب بلاده على تحقيق النقاط الثلاث الأولى في البطولة. هدفٌ أمام كرواتيا سيمكّن ابن الـ35 عاماً من أن يصبح أول لاعب أوروبي يسجل 100 هدف لمنتخب بلاده.
يمر منتخب البرتغال بفترة جيدة، حيث فاز فريق المدرب فرناندو سانتوس بسبع من آخر ثماني مباريات في جميع المسابقات، بما في ذلك الفوز (2-0) خارج الديار على لوكسمبورغ، في المباراة التي أهّلت منتخب البرتغال إلى نهائيات يورو الصيف المقبل بعد حصوله على المركز الثاني في المجموعة الثانية. ويرى المدرب فرناندو سانتوس أن دوري الأمم الأوروبية هو بمثابة التحضير لبطولة يورو 2021، حيث سيعتمد خلالها على إشراك بعض اللاعبين الجدد مثل روي سيلفا وترينكاو.
وعلى الجهة المقابلة، يسعى منتخب كرواتيا إلى تقديم أداء يليق باسمه، وذلك بعد مشواره المخيّب في النسخة الأولى من البطولة. غادر حينها المنتخب الكرواتي باكراً حيث خرج من مرحلة المجموعات بعد أن فاز في مباراة وتعادل في أخرى مقابل خسارته مباراتين، وذلك ضمن المجموعة التي شهدت وجوده حينها إلى جانب منتخبَي إنكلترا وإسبانيا. حظ منتخب كرواتيا العاثر أوقعه مرة أخرى في مجموعة صعبة، حيث سيلعب هذا العام ضد البرتغال وفرنسا والسويد. تأهل منتخب كرواتيا إلى نهائيات يورو المقبل بعد أن احتل صدارة مجموعته بـ17 نقطة من 8 مباريات. لقاء اليوم هو بمثابة «جسّ النبض» لمعرفة مدى جاهزية الكروات قبل نهائيات البطولة المرتقبة في الصيف المقبل.
وتشهد تشكيلة وصيف كأس عالم 2018 بعض الغيابات المؤثرة، أبرزها لوكا مودريتش وإيفان راكيتيتش. لذا، سيتم الاعتماد بالدرجة الأولى على الجناح إيفان بيريزيتش، الذي لعب دوراً بارزاً في تحقيق ناديه بايرن ميونيخ لثلاثة ألقاب تاريخية. في ظل الغيابات المؤثرة، يبدو أن ماتيو كوفاسيتش ومارسيل بروزوفيتش سيقودان خط الوسط، ومن أمامهما اللاعب الهدّاف برونو بيتكوفيتش. من جهته، يدرك مدرب المنتخب زلاتكو داليتش مدى صعوبة المهمة، حيث سيواجه بطل النسخة الماضية خارج الديار، ثم بطل العالم فرنسا الثلاثاء المقبل. وأكد المدرب على أهمية البطولة، ومدى سعيه لإنهاء السجل السلبي أمام البرتغال، حيث التقى الفريقان في 5 مواجهات مختلفة، حقّق خلالها البرتغال الفوز في 4 لقاءات مقابل تعادل وحيد.

السويد X فرنسا

في مباراةٍ أخرى، يحل المنتخب الفرنسي ضيفاً ثقيلاً على منتخب السويد. ستُلعب المباراة اليوم على ملعب فريندز آرينا، (21:45 بتوقيت بيروت).
ويتطلع المنتخب الفرنسي، بطل كأس العالم 2018، إلى محاولة التأهل والوصول إلى الأدوار المتقدمة في هذه البطولة رغم صعوبة المهمة، نظراً إلى وقوعه في مجموعة تضم فرقاً من النخبة الأولى. من جهته، يعلم منتخب السويد مدى قوة المنتخب الفرنسي، ولكنه لن يكون لقمة سائغة أمام أبناء المدرب ديدييه ديشامب، حيث أثبت المنتخب السويدي في السنوات الماضية مدى «شراسته» بعد أن أحرج الكبار في أكثر من مناسبة. سبق وأن تأهل الفريقان إلى اليورو المقبل، وهما في صدد لعب هذه البطولة للتجهيز ومعاينة الأوضاع.
يعوّل المنتخب السويدي على هدّافه ماركوس بيرغ (21 هدفاً)، ومن المرجح أن يشارك خط الهجوم مع روبن كايسون أو ألكسندر إسحاق. في خط الدفاع، يعتمد الفريق على مدافع مانشستر يونايتد فيكتور ليندلوف، في حين سيُعنى سيباستيان لارسون بقيادة خط الوسط.
تميل الكفة على صعيد الأسماء لمصلحة فرنسا، حيث يدخل المدرب ديدييه ديشامب البطولة بتشكيلة مدجّجة بالأسماء، يبرز منها مهاجم باريس سان جيرمان كيليان مبابي، مدافع ريال مدريد رافاييل فاران ولاعب برشلونة أنطوان غريزمان.
وشهدت التشكيلة عودة مهاجم مانشستر يونايتد أنطوني مارسيال بعد موسمه اللافت، واستدعاء مدافع لايبزك أوباميكانو، في حين غاب كل من بول بوغبا وتانغي ندومبيلي بعد أن جاءت نتيجتهما إيجابية لفحص فيروس كورونا.

أبرز مباريات اليوم

دوري الأمم الأوروبية			
مقدونيا	x	أرمينيا	16:00
ايسلندا	x	إنكلترا	19:00
الدانمارك	x	بلجيكا	21:45
البرتغال	x	كرواتيا	21:45
السويد	x	فرنسا	21:45

لا ليغا

ميسي باقٍ في برشلونة موسماً جديداً

أعلن النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي (33 عاما) أمس أنه سيبقى في نادي برشلونة الإسباني برغم إبلاغه في 25 آب/ أغسطس الماضي رغبته فسخ عقده من جانب واحد، وذلك في مقابلة مع موقع «غول» الإلكتروني.
وشهدت الأيام الماضية تجاذبات عدة بين الطرفين حول رغبة «البرغوث» بالانفصال عن فريقه، وقيمة البند الجزائي وما إذا كان هذا البند مفعّلاً أو غير ساري المفعول.
وقرر النجم الأرجنتيني الالتزام بعقده مع النادي الكتالوني حتى انتهائه في نهاية الموسم المقبل 2020-2021. وقال النجم الأسطوري: «لن أذهب إلى المحكمة ضد برشلونة لأنه النادي الذي أحبه، والذي أعطاني كل شيء منذ وصولي، إنه نادي حياتي، لقد صنعت حياتي هنا».
وتعد هذه النهاية الأسعد لجماهير الـ«بلاوغرانا» التي كانت تنتظر بترقّب نهاية المباحثات بين الفريق القانوني لميسي والنادي الإسباني.
وعاشت الجماهير الكتالونية منذ اللحظة الأولى لانتشار خبر رغبة ميسي في مغادرة الفريق كابوساً حقيقياً، إذ تظاهر العديد منهم أمام ملعب «كامب نو» لمطالبة اللاعب بالعودة عن قراره، لا سيما أنهم عاشوا أمراً مشابهاً عام 2017 عند رحيل النجم البرازيلي نيمار إلى باريس سان جرمان الفرنسي.
وشنّ ميسي هجوماً لاذعاً على رئيس النادي جوزيب ماريا بارتوميو إذ اتّهمه بالعودة عن اتفاق السماح له بالمغادرة مجاناً في نهاية الموسم الماضي. وقال: «الرئيس قال لي دائماً إنه في نهاية الموسم يمكنني أن أقرّر ما إذا كنت أرغب في الرحيل أو البقاء، وفي النهاية لم يحافظ على كلمته. كنا متأكدين من أنني حر. وقال الرئيس دائماً إنه في نهاية الموسم يمكنني أن أقرر ما إذا كنت أريد البقاء أم لا، والآن هم يتمسكون بمسألة أنني لم أبلغهم ذلك قبل العاشر من حزيران/ يونيو، وعندما يتبين أنه في هذا التاريخ كنا نلعب في الدوري في منتصف هذا الفيروس القذر (كورونا) وهذا الوباء الذي بدّل كل التواريخ».
وشدد ميسي على أنّ «هذا هو السبب في استمراري في النادي، لأن الرئيس أخبرني أن الطريقة الوحيدة للمغادرة هي دفع البند الجزائي».
وكان محامو ميسي قد أرسلوا عبر الـ«بورفاكس» وهو نوع من البريد الذي يمكن إرساله مادياً (ورقياً) أو إلكترونياً في إسبانيا، وله قيمة الدليل المعترف به أمام المحاكم في 25 آب/ أغسطس المنصرم طلباً من ميسي يعلن فيه عن رغبته في فسخ عقده مع الفريق من جانب واحد.
وقال ميسي: «قلت للنادي، وخاصة الرئيس، إنني أريد الرحيل. كنت أقول له ذلك طوال العام. أعتقد أنّ الوقت قد حان للتنحي».
وأعرب النجم الأسطوري عن اعتقاده «أن النادي بحاجة إلى المزيد من الشباب والناس الجدد، واعتقدتُ أن وقتي في برشلونة قد انتهى، وأشعر بالأسف الشديد لأنني كنت أقول دائماً إنني أريد إنهاء مسيرتي هنا».
وواصل «كانت سنة صعبة للغاية، لقد عانيت كثيراً في التدريب وفي المباريات وفي غرفة الملابس. أصبح كل شيء صعباً جداً بالنسبة لي، وجاء الوقت الذي أردتُ فيه البحث عن أهداف جديدة وآفاق جديدة».

ميسي: لن اذهب إلى المحكمة ضد برشلونة لانه النادي الذي احبه (أ ف ب)

قضية

«صراع» بين أميركا والوكالة العالميّة لمكافحة المنشّطات

نقلت وكالة رويترز عن مسؤولين في الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات (الوادا)، أن الرياضيين الأميركيين ربما يتم حرمانهم من المشاركة في الأولمبياد والبطولات الرياضية الدولية الكبرى لو نفذت الولايات المتحدة تهديدها بوقف تمويل"الوادا". وطالبت العديد من الحكومات "الوادا" بإصدار تشريعات تعتبر الولايات المتحدة غير ممتثلة للوائح الوادا وحظر مشاركة الرياضيين الأميركيين في المنافسات الدولية.
وفي تصريحات أدلى بها فيتولد بانيكا رئيس الوادا لوكالة رويترز، قال: "عواقب إيقاف الولايات المتحدة تمويل الوادا ربما تكون أشد وطأة على الرياضيين الأميركيين. تواصلت معنا عدة حكومات وكانت مذهولة بسبب دعم الوكالة الأميركية لمكافحة المنشطات لتهديدات الولايات المتحدة". وأضاف: "هذه الحكومات طلبت منا التفكير في تعديل معايير الامتثال حيث إذا لم تسدد حكومة ما التزاماتها تجاه الوادا يتم اعتبار الوكالة الوطنية لمكافحة المنشطات غير ممتثلة للوائح الوادا". وتابع: "سيؤدي ذلك حتماً إلى تداعيات خطيرة على الرياضيين من هذا البلد بما في ذلك المشاركة في الأحداث الرياضية الدولية الكبرى".
وتأجّلت دورة الألعاب الأولمبية في طوكيو لمدة عام بسبب جائحة فيروس كورونا لتقام في الفترة من 23 تموز/يوليو إلى الثامن من آب/أغسطس 2021. وتقضي لوائح اللجنة الأولمبية الدولية بضرورة الامتثال للوائح الوادا للمشاركة في الألعاب. من جهته وصف ترافيس تايغارت رئيس الوكالة الأميركية تهديدات الوادا بأنها فارغة وغير قانونية. وقال تايغارت في تصريحات نقلتها أيضاً وكالة رويترز: "تهديد الرياضيين في دولة ما بشأن الحوكمة الفاشلة للوادا أمر استثنائي ومخيّب. "الوادا" تشعر بالتهديد والانزعاج لكن تهديد الرياضيين الأميركيين بشكل غير قانوني أمر مخز. يجب أن تقضي الوادا الوقت في محاولة إصلاحها وجعلها ما يريده العالم وهو وادا قوية ومستقلة".
وكانت الهيئة الوطنية الأميركية لمكافحة المخدرات قد أرسلت تقريراً إلى الكونغرس في حزيران الماضي انتقدت فيه "الوادا" وطالبت بإصلاحات. واقترح التقرير إيقاف تمويل الولايات المتحدة للوادا إذا لم تحصل على تمثيل أكبر في المجالس واللجان و"صوت متناسب في عملية صنع القرار".

استراحة

3538 كلمات متقاطعة

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
		■					■			1
				■						2
	■						■			3
					■					4
			■			■				5
		■						■		6
				■			■			7
		■								8
	■								■	9
					■					10

أفقيا
1- مصيدة الحيوانات – خلاف حزين – عبوديّة – 2- مدينة إيطالية – عاصمة أوروبية – 3- صاح التيس – من النباتات المخضوضرة – 4- شراب عذب – الفردوس – 5- من الأسلحة – ضجر وسئم – مملكة بلقيس – 6- موقد قديم لحرق الحجارة من أجل إستخراج الكلس – مرتفع من الأرض – 7- حفر البئر – حرّك وهزّ – ذكور الماعز – 8- سياسي فرنسي راحل إشتهر بدهائه عيّن وزيراً للخارجية مراراً ولعب دوراً هاماً في مؤتمر فيينا خلال القرن التاسع عشر – عاصفة بحرية – 9- عاصمة آسيوية – 10- جزيرة مصرية قرب الإسكندرية إشتهرت بمنارتها وهي إحدى عجائب الدنيا السبع – بطل أسطوري فينيقي نقل الأبجدية الى اليونان

عمودياً
1- مدينة ألمانية على ضفاف نهر الماين – 2- قطعة من خشب أو مطاط يُسدّ بها ثقب في الحائط ليسهل دق المسمار وتثبيته فيه – وكالة أنباء عربية – 3- نهد – عملة إيطالية – 4- ماركة آلات خياطة شهيرة – كاهن قديم أوجد مذهباً لدى الديانة المسيحية – 5- عيب – منصف ومنزّه وحيادي – 6- واحة في ليبيا – برق ولمع – 7- كتاب يرشد السيّاح على الطرق والأمكنة السياحية – نخرج أنفاسنا بعد مدّة حزناً أو ألماً – 8- من الأزهار – بحر – 9- جواب – من الكواكب يُعرف بالكوكب الأزرق – 10- تصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- بتروناس – فج – 2- يونس الكاتب – 3- تنتمي – رعيل – 4- أس – هتف – إلا – 5- أم – سرد – 6- دال – ستيّ – فك – 7- يلعب – قويان – 8- نشر – فن – 9- بوينس ايرس – 10- مكة المكرمة

عمودياً
1- بيت الدين – 2- تونس – الشبك – 3- رنت – العروة – 4- وسمهم – يا – 5- نايت – ينل – 6- ال – فستق – سم – 7- سكر – ريوفاك – 8- أعاد – ينير – 9- فتيل – فا – رم – 10- جبل الكنيسة

3538 sudoku

5	2	8			6			
9						5	3	4
			5	9	7			
3		5	1	8				
		7		5		8		
				4	3	9		6
			3	1	5			
6	4	1						5
			9			2	8	1

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3537

3	9	7	5	6	1	8	4	2
2	8	4	9	3	7	1	5	6
6	5	1	8	2	4	9	3	7
1	2	9	4	7	6	3	8	5
4	3	8	2	9	5	6	7	1
7	6	5	3	1	8	2	9	4
9	1	3	7	4	2	5	6	8
5	7	2	6	8	3	4	1	9
8	4	6	1	5	9	7	2	3

مشاهير 3538

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رائدة مصرية (1907-2002) وأول إمرأة تحصل على إجازة في الطيران عام 1933. عاشت جزءاً كبيراً من حياتها في سويسرا حيث مُنحت الجنسية تكريماً لها

6+7+2+4+3 = الخيال ■ 1+11+8+5 = طريّة ■ 10+4+8+9 = راقصة مصرية

حل الشبكة الماضية: ادوارد بوخنر

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01 /666314ـ15 ـ
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

فيروز وما قالته الصورة

أحمد ضياء دردير *

غريبة؟

تقف فيروز في الصورة، مبتسمة على غير عادتها، ويقف على مسافة آمنة منها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مبدياً احتراماً يليق بالسيدة فيروز، لم يُبدِه، وهو يواجه السياسيين في لبنان أو وهو يملي أجندته على عموم اللبنانيين. ربما بعثت ابتسامة فيروز النادرة نوعاً من التفاؤل واستدعت أغنيتها المتأخرة «فيه أمل إيه في أمل». ربما فرح الناس بظهور فيروز المعروفة بعزوفها عن الإطلالات الإعلامية. وربما شعر بعض اللبنانيين بالفخر بسفيرتهم إلى النجوم، التي أصبحت كذلك سفيرتهم إلى زعماء الغرب، والتي تمثّلهم وتمثّل ثقافتهم بخير ما يمثّلها سياسيوهم.

فلماذا تلقّى بعضُنا إذن، وأنا منهم، الصورة كأنّها طعنة في الظهر؟ أو كما لو كنّا أهل جبال الصوان، في المسرحية الشهيرة التي تحمل الاسم ذاته، وهم ينتظرون غربة (فيروز)، ابنة مدلج الذي مات وهو يقاتل الغازي («فاتك المتسلط»)، لتكمل مسيرة أبيها وتخلّصهم من المحتل كما وعدتهم الأسطورة والنبوءة، فتقع عليهم، كالصاعقة، الشائعة التي اختلقها رجال فاتك: «هربت غربة»).

لم نختلق فيروز المقاومة من عدم؛ فهي تأتينا من غربة جبال الصوان (1969)، في مرحلة صعود الكفاح الفلسطيني المسلّح)، البنت التي عادت من المنفى لتقود مقاومة شعبها ضد الاحتلال، تحضّهم على أن ينبذوا الحداد واليأس وتصيح فيهم «غمر الطوفان الأرض، رجعوها اللي بقيوا، هدمت الحروب المدن، عمروها اللي بقيوا، استعبدوا الظلام الناس، حرروهن اللي بقيوا، بدنا نكمل المشوار، قلال، بيكون، بنكمل باللي بقيوا»؛ ومن ملكة بترا شكيلا التي قدّمت ابنتها الوحيدة ضحية لكي لا تنتصر روما، في مسرحية فيروز المسماة «بترا» (في عام 1977، في خضم الحرب الأهلية اللبنانية وعلى وقع الاعتداءات الإسرائيلية والتدخلات الأميركية، وعشية الاجتياح الإسرائيلي الأول).

وتأتي كذلك من غنّائيات العودة، تبشّرنا بالعائدين الذين يحملون الرشاشات وبالغضب الساطع الذي سيهزم وجه القوة، وبأجراس العودة التي تستحثّنا أن نقرعها «الآن الآن وليس غداً».

ذهب كاتب «سيف فليشهر» بعدها إلى أقصى اليمين، وأعلن أنه «على كل لبناني أن يقتل فلسطينياً» وعرفنا أنه حين قال «الآن الآن وليس غداً» قالها بنية التخلّص من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان لا بنيّة تحريرهم، وحتى الأخوان رحباني اللذان غنيا للعمل المقاوم واعتبرا نفسيهما من أبنائه فنياً عندما كان ذلك رائجاً، لم يبرآ من مغازلة المعسكر الانعزالي أو من الاختباء وراء تعميمات يفهمها كل فريق كما يفهمها. أما فيروز فقد سمح لها تراثها وصمتها، ثم ثرثرة ابنها، بأن تظلّ في أعيننا رمزاً للمقاومة، فتختلق الحكايات عن خيار مزعوم بالبقاء في بيروت الغربية (بينما تحدثت حكايات أخرى عن تنقّلها ما بين بيتين أحدهما في بيروت الغربية والآخر في المتن الشمالي، في ما كان يعرف بالمنطقة الشرقية) وعن علاقات من باب التعاطف أو من باب الحماية الأمنية مع هذا التنظيم أو ذاك (ذاع مثلاً، من دون سند أو دليل، أنّ علي ذا العود الرنان كان من حركة أمل وأن الحركة انتدبته لحراسة بيت فيروز وكانت هي وزياد يعلمانه العود في أوقات الفراغ قبل أن يُقتَل في أحد المعارك، ولكن زياد الرحباني في أحد لقاءاته قال إن كل الحكايات المرتبطة بهذه الأغنية محض خيال) ونصدّقها حين تقول: «ولا الشهدا قلّوا، ولا الشهدا زادوا، وإذا واقف جنوب، واقف بولاده»، أو نفرض على اللحظة المزيد من المعاني والرموز، وهي تقدم البروفة النهائية لإعادة مسرحية «صبح النوم» في يعلبك، بينما الطائرات الإسرائيلية تحلّق فوقها منذرة ببداية حرب تموز 2006 (1)، وكأن التاريخ نفسه يأبى أن يضع عن فيروز تلك التركة الثقيلة التي تحملها إياها مخيلتنا.

إلا أنّ رمزية فيروز الوطنية لا تقتصر على هذا الربط، الحقيقي أو المزعوم، بينها وبين المقاومة بل تتعدّاه إلى ميلاد لبنان في الخيال، فكأنّ ماكرون حين عمد إلى أخذ صورة معها كان يعلن أنه يريد أن يلد لبنان من جديد.

لبنان الحقيقي جايي؟

كنت أقول لأصدقائي في لبنان مازحاً، بالذات كلّما ساءت الأمور، إنني أكره الأخوين رحباني، فيقولون لي: «لأنهما اختلقا لبنان الحلم» فكنت أزيد: «ولأنهما جعلا ذلك الحلم جميلاً».

تستند كل هوية وطنية، مهما كانت، على وطن متخيّل تنتجه ثقافتها وفنونها إنتاجاً؛ وفي لبنان لا شك في أنّ اللذين اختلقا لبنان الوطن من دون منازع هما الأخوان رحباني، وأنّ الكذبة التي اخترعاها كانت أصدق من كل فبركات المؤرّخين والساسة («والآباء المؤسّسين» (2) (وهما اللذان قالا في سياق آخر «الكذبة مش خطية» ثم قال أحدهما في سياق ثالث: «والكذبة حلوة متل الصبية» وهما اللذان ناقشا في مسرحية المحطة كيف تصبح الكذبة حقيقة حين يتوافق الناس حولها حتى إن «الانتظار خلق المحطة وشوق السفر خلق الترّان [القطار]» وقالا في بياع الخواتم بأن الحقيقة والكذبة يختلق بعضهما البعض «واحد فينا الحكاية وواحد مانوش حكاية، قولك أنا الحكاية، وهو مانوش حكاية»). وكانت الحكايات عن لبنان مُعاد من قبل مولده للعثمانيين محصورة طائفياً، حتى جعلا منها حكاية وطنية في فيلم «سفر برلك» وكانت المعارك المناطقية ما بين فخر الدين المعني وخصومه لا تمثّل ميلاداً لأي شيء سوى في أعين قلة من المؤرّخين الانعزاليين (طائفياً وقُطريّاً) حتى عمد الأخوان رحباني إليها وخلقا منها مسرحية ملحمية تنتهي بالإعلان أن وطناً سيولد من هذه التضحيات «ساكن عاطراف المعاول، ساكن بزراريع الحطابين»، «واقف عابواب القناطر، جايي مع هبات الأشعار»، «طالل من كتب المدارس، وبده يخلق بقصص الولاد» وتختتم «وطني صار، وطن الوعد ووطن الجوهر!»

إلا أنّ دور الرحبانيَيْن تعدّى صياغتهما الموسيقية والمسرحية أو السينمائية للخرافات التأسيسية اللبنانية إلى صياغة الوطن ذاته. ففي مقابل لبنان الجغرافي، هناك لبنان مجازي يعرفه اللبنانيون وكل العرب من خلال أغاني فيروز: موسيقى الرحابنة ترتبط عندنا بنسيم جبل لبنان رأيناه أم لم نره، ولا نسمع موسيقى «مونامور» إلا وتذكرنا أغنية فيروز المقتبسة منها «لبيروت» وكلما سمعنا إحدى الأغنيتين تخيّلنا أنفسنا في مكان ما بين الحمرا وكورنيش الروشة في مطلع الثمانينيات وصوت القذائف في الخلفية، ومن قبل أن نرى لبنان نعرف التلال والصخر والوديان و«صوت النهورا ينده الغياب... وصحاب عم بتقول نحنا صحاب». وحتى عندما كانت تنقطع الكهرباء، ويتراشق المسلّحون بالنيران في الشارع المجاور، والماء لا يأتي إلا خيطاً مالحاً، والرطوبة لا تطاق، كنّا نتذكر أنه «هون السما قريبة».

بعدا جبال الصوان؟

لم ينفصل إنتاج الرحابنة للبنان عن إنتاجهم لفيروز المقاومة، ولكنهم ألبسوها ثوباً فضفاضاً ليتشكل في أعين كل فريق سياسي على هواه. اتهمهم النقاد بأنهم بالغوا بالشعارات الفجة والزاعقة والمباشرة، إلا أنهم كانوا أذكياء بما يكفي لأن يقدموا كل ذلك من خلال رموز فضفاضة يفهمها كل فريق كما شاء. وإن كانت جبال الصوان تمثل لنا المقاومة (وقد بالغ فواز طرابلسي، على طريقته في لي أعناق الحقائق لتناسب هواه السياسي، في ذلك فادّعى أن جبال الصوان هي «فلسطين في فن فيروز والرحابنة») ففي مصطلحات «الجبال» و«الصوان» ما يغازل مخيّلة الانعزاليين اللبنانيين عن هويتهم؛ وحتى في خضم تحريض غربة / فيروز على المقاومة لا تنسى أن تلقي بإيماءة لجمهورها الانعزالي فتقول: «اللي مطرود مانه ضيف، حامل حزنه معه، وحامل الحزن بيهربوا منه الناس، بيخافوا يعديهم» وعن الذين يقاومون من خارج بلادهم تقول: «اللي بيحاربوا من برة بيضلوا برة، المصدر جوة». هذا الأمر بالذات سخر منه زياد الرحباني في مسرحية شي فاشل التي تستعير مصطلحات جبال الصوان وتجعل منها أضحوكة، ويقدم نسخة هزلية من أبيه وعمه وهما يحاولان تقديم عرض مسرحي يرضي الهوى السياسي لبيروت الغربية والشرقية سواء ويضيفان مقاطع عن الجنوب والمقاومة حين يقدمان العرض في بيروت الغربية بينما يتحدثان بتعميم عن الغرباء حين يذهبان إلى المنطقة الشرقية أو يتحدثان مع ممثلي الصحف الانعزالية. طبعاً هناك باب للجدل في ما إذا كان زياد قد ظلم أبويه بهذا الكاريكاتور (وفي رأيي أن زياد لا ينطقع هنا عن تراث عاصي ومنصور وفيروز ولكنه يبني عليه شيئاً مضاداً له؛ ولهذا لا أتفق مع متعصبي زياد الذين يريدون إعلان ولائهم له عن طريق نبذ وازدراء تراث عاصي ومنصور) إلا أننا في هذا السياق يمكننا أن نقرأ مباشرة زياد وجنوحه إلى مواقف سياسية قد تكون مبالغة في وضوحها في بعض الأحيان، كرد فعل على تعميمات أبية وعمه. هذه الضبابية الرحبانية تجعلنا قادرين على أن نقرأ مسرحية بترا، وصراع بترا البلد الصغير الطاولة التي يقاوم، مع روما «الإمبراطورية المجنونة» التي تتوسع على حساب شعوبنا وحرياتنا، في سياق المواجهة مع الإمبريالية الأميركية، فنتحمس حين تصيح الملكة شكيلا في روما: «انتو الحرب العدد القوة نهر العسكر نبع الخيل، نحنا الحق ودمع الناس أمل الناس والحرية وغناني الأجيال، وضحكات الأطفال» أو نؤمّن سراً حين تقول الملكة: «روما، رح تلحقك لعنة الشعوب المقهورة والمدن المحروقة، رح يجي يوم تهدمي حالك وتنتحري، رح تتشلعي من جوة وتصير كرومك نهب الطرقات، أنا شايفة الخيل اللي جاية من بلاد البربر وسهول المغول عم تصهل بقصورك إذا مش اليوم) بعد مدة سنة. بعد ألف سنة. إلا ما تدعوسك مركبات الإيام والناس اللي جايين، وتنكسري متل الشجرة، تنكسري متل الشوكة قدام الريح».

هذه الضبابية، وهذا الموروث المقاوم المقحم والأصيل في آن، يجعلاننا كذلك قادرين على أن نستحضر، بأثر رجعي، وعقب استشهاد هادي نصر الله كلمات ملكة بترا الأخيرة في المسرحية: «تعبك للناس، فرحك للناس، أولادك للناس، يا ملك المتوج عقلوب الناس» وتجعلنا قادرين كذلك، في أعقاب حرب الـ2006 ـ أو ما تلتها من مواجهات حاربت المقاومة فيها على جبهات داخلية ـ أن نردّد مع شكيلا ـ فيروز «يا سيد النصر، وقف الساعة اللي جاية، لو تعرف شو كلف النصر، إشيا انقالت، إشيا ما انقالت، وبعدا ورا الدمع مخبية» (3). النص الرحباني، ومشروع فيروز والرحابنة الغنائي، فضفاض من البداية يسمح لنا أن نسقط قراءاتنا الخاصة عليه ويسمح لغيرنا أن يستلبه في مشاريع معادية للمبادئ التحررية التي غنّت لها فيروز، وفيه من النبوءة ما يجعله صادقاً، وفيه من الكذب ما يجعلنا قادرين على أن ننسج منه حكاياتنا نحن.

هذه الإحالات، وإن بدت عارضة ومقحمة، فهي ضرورية، أولاً لتوازننا النفسي أمام هجمة الصورة الاستعمارية، وثانياً لمشروعنا الثقافي الوطني ما دامت فيروز جزءاً أصيلاً منه. المسألة هنا ليست مسألة وضع الرموز والإحالات في مقابل الرموز والإحالات، أو اجترار المخزون الوطني الذي احتوته أغاني فيروز أو الذي فرضناه عليها. جوهر المسألة أن صورة ماكرون مع فيروز، إلى جانب صورته وهو يحتضن، بحنان وحزم والتأثر في عينيه، إحدى المتظاهرات في شوارع بيروت في أعقاب انفجار المرفأ، وصورته على رأس الطاولة والسياسيون اللبنانيون يلتفون حوله؛ هي كلّها جزء من الحملة الدعائية لتجميل دور فرنسا في لبنان، الذي يهدف بدوره إلى تجميل المشروع الاستعماري الأميركي لضمان أمن إسرائيل، ويضفي عليه وجهاً «حنوناً».

المسألة إذن ليست حصول أي فنانة، حتى وإن كانت فيروز التي جعلنا منها «أيقونة»، على تكريم من سياسيي الغرب؛ فيروز نفسها حصلت على أوسمة من ميتران في عام 1988 ومن شيراك في عام 1998 بل إنها غنّت، في حفل باريس 1979 التاريخي، «باريز يا زهرة الحرية يا دهب التاريخ يا باريز». ولكن المسألة هي أن اللقاء هذه المرة يأتي ضمن مساعي ماكرون الاستعمارية؛ المسألة هي توظيفه لصورة فيروز، التي تمثل لنا الكثير، في هذه المساعي.

فطن موظفو الدعاية والعلاقات العامة الفرنسيون إلى رمزية فيروز وما قد تحمله صورة لرئيسهم معها من قيمة وتأثير، ولكنهم ربما لم يفطنوا إلى مدى قسوة ما فعلوه إذ عمدوا إلى أيقونة وطنية فاستلبوها وجنّدوها من دون أن تدري هي في مشروعهم، وكأنهم ينتقمون من تراثها أو كأنهم أعوان فاتك المتسلط في جبال الصوان وهم يتآمرون وينذرون «غربة بالنسبة إلهن، تاريخ الدم والنذر، لازم تتصغر بعيونن، تتهدم قدامن، قبل ما تصحوا شي يوم، وهني عم بينضفوا سلاحاتهن».

ثمة شائعات لا دليل عليها، عن أن فيروز تحدثت لماكرون عن الأسير اللبناني في السجون الفرنسية جورج عبد الله، يقابلها غضب لأنها لم تذكر جورج عبد الله، أو لأنها ارتضت أن تجتمع مع المستعمر، وتلتقط معه الصور، وتبتسم على غير عادتها.

أما نحن، وبغضّ النظر عمّا قد تكون فيروز الحقيقية قد قالته لماكرون، فلنا أن نصر أن فيروز التي في مخيّلتنا لا يمكن أن تكون قد قالت لماكرون وللمشروع الاستعماري الذي أتى به سوى ما قالته غربة لفاتك في مسرحية جبال الصوان: «شو بدك تقتل تا تقتل ما بقى رح تخلص القصة؛ ورا كل صخرة، تحت كل شجرة، بفية كل بيت، عم يخلق ولد لمدلج».

> في لبنان لا شك في أنّ اللذين اختلقا لبنان الوطن من دون منازع هما الأخوان رحباني

المراجع:

1. هذا الوصف، ليس من قبيل المبالغة فقد كانت الطائرات تحلق بالفعل في أجواء البقاع الغربي وقد حكى لي بعض من حضروا هذه البروفة، التي كانت مفتوحة لجمهور محدود، كيف أن صوت الطائرات الإسرائيلية كان يقطع صوت المغنين والممثلين. لم يُقدم العرض الربني في يعلبك لأن الحرب الشاملة قامت في اليوم التالي، ولكنها تأجلت لتقام في مسرح البيال في وسط بيروت في ديسمبر-كانون الأول 2006، في وقت تصادف مع بداية الإضراب العام الذي قاده تحالف المعارضة آنئذ (حزب الله- التيار الوطني الحر) لإسقاط حكومة فؤاد السنيورة: وفي تواصل مع إدارة المسرح في هذا اليوم قالوا لي بأن لا شيء أقل من إنزال إسرائيلي في بيال سيمنع الرحابنة من تقديم هذه المسرحية في هذا الموعد. وكان العرض، واكتسب رمزية إضافية بحديثه عن الوالي الغارق في النوم والجموع والقوى السياسية في الخارج ومن بينهم قسم كبير من ورثة الرحابنة أنفسهم ومن معدي العرض، يطالبون بإسقاط رئيس الحكومة فؤاد السنيورة؛ وصفق المشاهدون بحماس زائد وضحكوا حين كانت قرنفل (فيروز) تصيح من قاع البئر «دولتنا خشب ما بتغرق».

2. يُستخدم هذا المصطلح، المستعار كما هو واضح من الخرافة السياسية الأميركية، في بعض الأدبيات اللبنانية، للتغطية على أن للبنان، على المستوى الفكري والنظري، أباً مؤسساً واحداً هو ميشال شيحا الذي كان يقطر عنصرية ضد العرب والمسلمين والذي كان على استعداد أن يقبل بلبنانية عبد الحميد كرامي، ومن ورائه سنّة الساحل، فقط لأن ملامح كرامي الشقراء تدل على أن أصله من أهل شمال الجبل «المردانيين/ المردة» لا من العرب. طبعاً هذا الدور تلقّفه من بعده شارل مالك الذي حاول أن يجعل من لبنان رأس حربة للمشروع الأميركي في وجه المشروع العربي الوحدوي والنظام الناصري، ففشل فشلاً ذريعاً وأطيح به ويمعلمه كميل شمعون، بثورة شعبية، فشارك بعدها مع ساسة وأدباء انعزاليين وطائفيين (من بينهم سعيد عقل، صاحب «سيف فليشهر» ذاته) في تأسيس «جبهة الحرية والإنسان» التي عُرفت بالجبهة اللبنانية والتي أدخلت لبنان في الحرب الأهلية وابتدعت القتل على الهوية قبل أن تجاريها فيه بعض أحزاب «الحركة الوطنية».

3. في كتابه آثار استعمارية يناقش جوزيف مسعد هذه المشاهد نفسها في سياق اختلاق الهوية الوطنية الأردنية، وخاصة قد قُدمت هذه المسرحية في عمان بحضور الملك حسين. ومنذ قراءتي لهذا الكتاب وأنا في جبال، ما بين الجد والهزل، مع جوزيف مسعد عما إذا كانت بترا في المسرحية هي الأردن المتخيل أم لبنان المتخيل. النقطة الأساسية هنا ليست الانتصار لهذه القراءة أو تلك، وإنما تحليل النص الرحباني كنص فضفاض يتحمل كل هذه القراءات والإسقاطات، ويمكن تقديمه في مهرجان رسمي أمام الملك حسين ليترجمه أنصار الوطنية الأردنية والعرش الهاشمي على هواهم، كما يمكن أن يصبح منشوراً دعائياً داعماً للمقاومة ومعادياً للإمبريالية.

* باحث عربي

«التهوّد» السعوديّ لا يوفّر القرآن

سعيد محمد

هناك إشارات متزايدة على أن الدور السعودي التقليدي، المستمر منذ ما قبل التأسيس الرسمي للدولة العبرانيّة على أرض فلسطين في عام 1948 لناحية إدارة عمليّة استيعاب المستوطنين اليهود في المنطقة العربيّة، شرع يأخذ أبعاداً أكثر جذريّة تتجاوز إدارة تسريع عمليّات تطبيع النظام الرسمي العربي علناً مع مملكة يهوذا الجديدة، إلى السعي الممنهج نحو إزالة عوائق التهوّد الشامل أمام شعوب العالم الإسلامي، ومنها السعي إلى عبرنة النص المركزي للثقافة العربيّة ـ القرآن الكريم ـ كما دعوات متتابعة لإحلال مصحف سعودي معصرن، بدلاً من مصحف الخليفة عثمان التقليدي، بحجّة تصحيح آلاف الأخطاء المتراكمة في الكتابة والإملاء وقواعد اللغة.

كانت مملكة آل سعود الحديثة، التي نشأت في إطار المشروع البريطاني الإمبريالي للهيمنة على الشرق الأوسط، أولى التجارب الاجتماعية الشاذة التي تفتّقت عنها عقول النخبة المتصهينة في وزارة الخارجية والمستعمرات، لإنشاء دول وظيفيّة ما بعد كولونياليّة تقوم حصراً على أساس العنصرية الدينية في وقت كانت فيه القوميّات (الوطنية) هي النموذج النظري لقيام الدول الحديثة، إذ سبق اتفاق لندن مع ابن سعود، في عام 1915، وعد بلفور (1917) لإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين، وخطّة تقسيم الهند عبر إنشاء باكستان المسلمة (السنيّة) (1949). وقد أثبتت هذه التجارب الثلاث ـ المتمرّة إلى اليوم ـ كفاءة استثنائية في خدمة المصالح الإمبريالية بأفضل ممّا قد يقوم به الراعي الكولونيالي نفسه. ولم يتردّد الأميركيون ـ تجّار الديمقراطية المزيّفة ـ عن وراثتها كما هي، والتمديد لها وتعميق تشبيكها بالمركز الإمبراطوري الجديد في واشنطن.

وبغير حراسة آبار النفط العربية لمصلحة الغرب، وتكريس الاستقلال الشكلي لدمحيّات البريطانيّة في الخليج، وتفتيت اليمن الكبير، وقيادة معسكر الرجعيّة الخانعة في العالم الإسلامي من أندونيسيا إلى موريتانيا، فإنّ إحدى أهم مهمّات النظام السعودي، منذ لحظة التأسيس، كانت إدارة الجانب العربي لناحية تسهيل استيعاب المستوطنين اليهود الغرباء ضمن شعوب الإقليم، وتسكين العداء تجاه مملكة يهوذا الجديدة، وهي مهمات كان على آل سعود القيام بها، إن هم أرادوا الاحتفاظ بحماية السادة الغربيين لهم في مواجهة أعداء محليين أو إقليميين. وإذا كانت متطلّبات المراحل التاريخيّة السابقة، ومستوى تعقّد بنية النظام السعودي، لم تسمح له طوال القرن الماضي بالمجاهرة علناً بالعلاقات الوثيقة مع النظام الإسرائيلي، فإنّ اللعبة اختلفت تماماً بداية القرن الحالي، إذ شنّ السعوديّون هجوم مبادرة «السلام» العربيّة السيئة الذكر، في عام 2002، التي خاطبت الكيان العبراني كواقع موضوعي لا يُنقض، ودعته على لسان الملك السعودي، آنذاك (عبدالله بن عبد العزيز)، إلى قبول اعتراف مجموع الدول العربية به، وبناء علاقات طبيعية معه، في إطار سلام شامل ودائم يكرّس نهائيّة دولة إسرائيل، ويستوعبها جزءاً لا يتجزّأ من الإقليم. ومن وقتها، تعاظم التنسيق السعودي ـ الإسرائيلي على أرفع المستويات العمليّاتيّة والاستراتيجيّة، منذ سقوط بغداد في عام 2003، وما تلاها من موجة «ربيع عربي» مسموم أسقط الدولة الليبيّة، وأنهك مصر، وكاد يطيح بسوريا، قبل التلاقي حول العداء للمقاومة في لبنان، ومواجهة النفوذ الإيراني عبر المشرق، وأخيراً العدوان على اليمن، إضافة بالطبع إلى الترويج للحكم السعودي في أوساط النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة.

وقد شرع السعوديّون، منذ بعض الوقت، في التمهيد لتحوّل نوعي في شكل التعامل العربي مع الكيان العابر، يفوق سياسة التطبيع النخبوي ـ الرسمي، إلى التهوّد وخلخلة ثقافة التناقض البنيوي لسكان المنطقة مع الكيان العبري، حتى على مستوى المسائل التقنيّة المحضة، وذلك عبر خطّة متدحرجة تنطلق من إشارات عابرة في الإعلام والمسلسلات والصحف، ودائماً عبر شخصيات وأفراد يدورون في فلك آل سعود من دون تمثيلهم رسميّاً، لتتطوّر تالياً بتطبيع علني من قبل أنظمة عربيّة هامشيّة تعيش في ظلّ مملكة الخير، ولا تخرج عن طوعها (عُمان والبحرين والإمارات والسودان)، تحضيراً لوصول الشقيقة الكبرى إلى محطّة التصريح بالارتباط العضوي مع الدولة العبريّة، وهي محطّة دونها عقبات ثقافية يتعاون المثلّث الأميركي ـ الإسرائيلي ـ السعودي على تجاوزها. فالسعوديّون، منذ دولتهم الأولى التي قامت ـ كما الدولة الحالية ـ بحدّ السيف ومطلق العنف، لفّقوا شرعيّتهم بالتحالف مع الوهابيّة المتطرّفة، ومكّنهم البريطانيّون من لعب دور عالمي كرعاة للحرمَين الأقدس عند المسلمين ـ وضحّوا لذلك بمملكة حليفهم الهاشمي، الأمير الحسين بن علي حاكم الحجاز. ولا شكّ في أنّ التسرّع بالتطبيع العلني، سينعكس سلبياً على صورة النظام السعودي في العالم الإسلامي، ولا سيّما في ظلّ صعود العثمانية الجديدة في تركيا، وانحياز قطاع عريض من الإسلام السياسي السني إليها، كما استمرار تحدّي إيران كراعية للإسلام الشيعي. ولذا يتمّ منهجيّاً بناء سرديّة مزيّفة للاستهلاك العمومي، تقوم على ثلاثة محاور استراتيجية، أوّلها الإيحاء بأنّ السعوديين كانوا آخر من التحق بقطار التطبيع، وأنّهم وصلوا إلى ذلك حصراً بعدما طبّعت جميع الدول العربية على الإطلاق (ربما باستثناء سوريا ـ أرض الجهاد المفتوح)، ومعظم الدول الإسلامية، بما فيها تركيا وقطر، وثانيها منح السعودية سبباً عملياً لإعلان التطبيع، من زاوية الولاية الدينيّة على الحرم الشريف في القدس المحتلّة، في إطار ترتيبات «صفقة القرن» ـ وهو أمرٌ يثير خلافاً مع السلالة الهاشمية في الأردن، تحاول بريطانيا إيجاد مخارج سعيدة له ـ وثالثها إزالة الألغام الأيديولوجيّة التي قد تعيق التماهي مع المشروع الاستيطاني العبري ـ وأخطرها نصوصٌ قرآنيّة بعينها عكست صراعاً ثقافياً مع يهود الجزيرة في مرحلة ما من تاريخ البعثة المحمديّة.

في إطار الاستراتيجية الأخيرة هذه تحديداً، يمكن فهم الخطوات الجريئة ـ غير المسبوقة في العالم الإسلامي منذ أكثر من ألف سنة تقريباً ـ التي يتبنّاها النظام السعودي تجاه «تنقية» المصحف التقليدي المفترض أنّه مستند إلى النسخة الرسمية الموحّدة، التي أُنجزت في عهد الخليفة عثمان (تولّى الخلافة من عام 644 إلى عام 656 ميلادية) من كلّ ما قد يتعارض مع السرديّة التوراتية ـ الصهيونية، وخصوصاً ما يتعلّق بفلسطين و«المسجد الأقصى» ـ على الرغم من أنّ النص القرآني، في عمومه، يتقاطع في مفاصل كثيرة مع المرويات الإسرائيلية ـ وذلك تحت ستار دخان كثيف عن «تحديث» لرسم المصحف، وتصحيح لأخطاء مزعومة تراكمت عبر القرون ـ بحسب السعوديين دائماً. ومن ذلك، ما كُشف عنه بداية العام الحالي من إصدار مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف ـ وهي الجهة السعوديّة التي تتولّى بكرم زائد طباعة المصحف وترجماته إلى لغات العالم الرئيسة وتوزيعها مجاناً عبر العالم كجزء من أدوات القوّة الناعمة للنظام ـ نسخة مُترجَمة إلى العبريّة المعاصرة حفلت بعدّة مئات من التحريفات في أسماء الأشخاص والأماكن، أخطرها وأوضحها تغيير اسم «المسجد الأقصى»، كما يرد وصف مدينة القدس في سورة الإسراء إلى التسمية العبرانيّة «جبل الهيكل»، والتعمية ـ وفق خبراء اطّلعوا على النسخة قبل سحبها من الموقع الإلكتروني بعد إثارة المسألة ـ على الاسم العربي للنبي محمّد الذي يذكر في الرسم التقليدي للمصحف أربع مرّات.

هذا العبث الأيديولوجي في الترجمات الرسمية للقرآن، بغاية «هودنتها»، يتمدّد الآن باتجاه النص العربي الكلاسيكي ـ المرتبط في الذهن الجمعي للمسلمين بمفهوم أنّ القرآن محفوظ وثابت ولم يتغيّر ـ وذلك عبر تمرير مقالات مشبوهة متتابعة في مواقع سعودية تطالب بتصحيح آلاف من الأخطاء المزعومة في المصحف الحالي، كتابةً وإملاءً ونحواً، وإعادة كتابة النص برسم حديث بحجّة تسهيل قراءته على الأجيال الجديدة والمسلمين من غير العرب.

أوّل هذه المقالات، ظهر في كانون الثاني الماضي في موقع «آراء سعودية» الإلكتروني، لكاتب مغمور يدعى أحمد هاشم، ويدعو فيه السلطات السعودية إلى تولّي المهمّة التاريخية لتصحيح 2500 خطأ في رسم المصحف الحالي ـ ومنها بالطبع أسماء ومصطلحات ارتبطت بلغات وثقافة شعوب المنطقة وقت البعثة المحمديّة ويرتكز إليها معظم الجدل في الغرب حول أصول القرآن لكن ذلك بحث آخر. وقد تسبّبت المقالة، حينها، في مبارزات بين التقليديين والحداثيين في المملكة على مواقع التواصل الاجتماعي، راقبتها السلطات من دون صدور أيّ تعليق رسميّ عنها. وقد استُعيد الطرح مجدداً، الشهر الماضي، بعدما نشر موقع «إيلاف» الإلكتروني الذي يديره عبد الله العمير ـ صديق الملك سلمان الشخصي وخادم ابنه محمد ـ مقالة لكاتب كردي ـ عراقيّ مرتزق، يجدّد فيه دعوة أحمد هاشم المشبوهة ـ أقلّه لناحية التوقيت على افتراض حسن النيّة ـ وينادي الرئيس (الكردي) للعراق للتعاون مع آل سعود ـ ذاكراً بالاسم الملك سلمان وولي عهده ـ ودعم قيادتهما هذا المشروع (الشديد الأهمية روحياً، وأيديولوجيّاً ودينياً ـ على حدّ تعبيره)، والذي هو بحكم الناجز وينتظر مجرّد الإشارة لنشره.

> التصدّي لسياسات التهوّد السعودي العميق يجب أن يرتكز أساساً على جهد منظّم لنزع الوجه الديني المحض عن الصراع بشأن فلسطين

بالطبع، لا صحافة سعوديّة تنطق عن الهوى، ولا بدّ أن السعوديين يسرّبون هذه المقالات تحضيراً لإطلاق مصحف سعودي، يحتكر النص القرآني وفق رسم جديد لمصلحة تعميق هيمنة المملكة على القيادة الروحية للعالم الإسلامي في مواجهة مدّعي الزعامة الآخرين، ويمنح الكيان العبراني القلق وجوديّاً شرعيّة تاريخية وأيديولوجيّة في العقل العربي والمسلم. تناول الصهيونية انتصارها النهائي، التصدّي لسياسات التهوّد السعودي العميق، يجب أن يرتكز أساساً على جهد منظّم لنزع الوجه الديني المحض عن الصراع بشأن فلسطين، الذي لا يخدم حصراً سوى التمكين للمشروع العبراني في قلب الشرق وتتبنّاه الصهيونية العالمية رسمياً وأيديولوجياً، كذريعة لتبرير وجود كيان أجنبي استيطاني قائم على العنصرية الدينية البغيضة في القرن الحادي والعشرين، واستعادة القضيّة إلى حقيقتها الوحيدة الساطعة: صراع إلغاء مع مشروع فاشيّ توسعي مسموم، من تركة العهد الكولونيالي، ومفتاح للهيمنة الأميركية في المنطقة. صراعٌ لا يمكن أن يهدأ قبل تصحيح أخطاء التاريخ بالكامل، تماماً كما أزيل الاحتلال الفرنسي المظلم للجزائر من جذوره، ولو بعد 132 عاماً على تحويل درّة المغرب العربي إلى «فرنسا جنوبيّة».

اليمن

قوات صنعاء تتوغّل في حريب الاقتراب من تطويق مأرب بالكامل

صنعاء ـ رشيد الحداد

تَمكّنت قوات الجيش اليمني واللجان الشعبية، خلال الساعات الماضية، من إسقاط مديرية ماهلية في محافظة مأرب، مُتوغّلةً وسط مديرية حريب، لتقترب بذلك من استكمال تطويق المحافظة، وقطع آخر خطوط إمدادات القوات الموالية للرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور، ما بين شبوة ومأرب. وترافق التطوّر الجديد في جبهات غرب مأرب مع آخر في شمال غرب المحافظة، حيث استطاعت قوات صنعاء محاصرة معسكر الماس الاستراتيجي، بعد التقدّم في مديرية رغوان، باتّجاه المعسكر الذي تتّخذه القوات السعودية مقرّاً لها هناك. وفي الجبهة الشرقية، تَقدّم الجيش واللجان، أمس، في منطقة العلم، وأسقطا عدداً من المواقع الجديدة، وسط تسجيل عمليات انسحاب للمقاتلين القبليين الموالين لـ"التحالف"، جرّاء تعرّضهم لقصف جوي أدّى إلى مقتل عدد منهم.

> شنّ الطيران عشرات الغارات لوقف تقدّم قوات صنعاء من دون نتيجة

اشتداد المعارك خلال الساعات الـ 48 الماضية دفع القوات السعودية إلى الانسحاب من معسكر تداوين الواقع شرق مدينة مأرب. ووفقاً لمصادر محلية، فقد سحبت القوات السعودية، أمس، جميع المعدّات العسكرية الثقيلة من المعسكر على متن 30 شاحنة كبيرة، فيما تحاول نقل ما تبقى من أسلحة حديثة وبطاريات "باتريوت" إلى منطقة العبر الواقعة في نطاق محافظة حضرموت. وجاء ذلك بعد سقوط مديرية ماهلية جنوبي المحافظة، وانسحاب العشرات من المسلحين القبليين من مواقعهم في الجبهة الشرقية القريبة من معسكر تداوين في صحراء مأرب.

مصادر قبلية مساندة للجيش واللجان في مأرب أكدت، لـ"الأخبار"، أن قوات صنعاء أحكمت، أمس، قبضتها على مديرية ماهلية، وذلك بعدما استكملت، الخميس، السيطرة على منطقة العمود، مركز المديرية. وأفادت المصادر بأن المعارك انتقلت حالياً إلى منطقة الصدارة جنوبي مديرية رحبة، والتي يُعدّ وصول الجيش واللجان إليها تقدّماً استراتيجياً كبيراً على طريق استكمال تطويق مأرب من الجهات كافة، وقطع جميع خطوط إمداد قوات هادي. وأضافت المصادر إن قوات صنعاء تمكّنت، الجمعة، من السيطرة على مناطق الحصون وشعب الأشا وحيد البدري، ومن ثمّ التقدّم - بعد معارك شرسة مع قوات هادي - باتجاه منطقة الكولة. ووفقاً للمصادر، فقد صدّ الجيش واللجان، أول من أمس، محاولة تقدّم كبيرة لقوات هادي - مسنودة بعناصر من تنظيم "القاعدة" - في منطقة الغنيمة ما بين وادي المشيريف ومناطق قيفة في البيضاء.

كذلك، أفاد مصدر عسكري في مأرب، "الأخبار"، بأن قوات صنعاء تمكّنت، أمس، من التوغل في مناطق معشرا والمراغ، فيما تدور معارك عنيفة مع قوات هادي في نقاط التماس في منطقة نشح والأفضاف، أولى مناطق مديرية حريب، المجاورة لمديرية بيحان في محافظة شبوة. ووسط مواجهات عنيفة تشهدها جبهات مأرب في الشمال والشرق والغرب، يواصل طيران "التحالف" شنّ العشرات من الغارات الجوية على مواقع الجيش واللجان وعلى المناطق التي سقطت تحت سيطرتهما. وخلال اليومين الماضيين، نفّذ الطيران أكثر من 50 غارة في محاولة لوقف تقدّم قوات صنعاء في ماهلية ورحبة وحريب، مُتسبّباً بإصابة عدد من المدنيين في ماهلية.

تقترب قوات صنعاء من قطع جميع خطوط إمداد قوات هادي (أ ف ب)

سقطرى... أولى «ثمار» التطبيع الإماراتي

لقمان عبد الله

سلّط إشهار العلاقات بين الإمارات والكيان الإسرائيلي، مجدّداً، الضوء على الأهداف الحقيقية للحرب على اليمن، مؤكّداً ما أعلنته صنعاء منذ اليوم الأول من أن تلك الأهداف أميركية - إسرائيلية بالدرجة الأولى، يقود عملية تحقيقها، بالنيابة، كلٌّ من السعودية والإمارات. وفيما تُواصل المنابر الخليجية الادّعاء أن غاية العدوان تقويض العلاقة بين حركة «أنصار الله» وإيران أو «قطع يد إيران في اليمن» وفق أدبيات «التحالف»، يَثبت يوماً بعد يوم أن غايات الحرب مُركّبة ومتعدّدة الأبعاد وليست محصورة في جانب واحد.

في هذا السياق، تتكشّف اليوم خلفيات استماتة الإمارات في احتلال جزيرة سقطرى في بحر العرب، وكذلك تصدّرها الهجوم على مدينة الحديدة على البحر الأحمر، وتحمّلها التكلفة الباهظة لمحاولاتها المتكرّرة (الفاشلة) إسقاط ميناء المدينة عام 2018. إذ تتواتر المعلومات المؤكّدة حول خطط أميركية - إسرائيلية لاستغلال تلك المواقع الاستراتيجية، بعدما ثُبّت وجود دور لواشنطن وتل أبيب في معارك الساحل الغربي. وفي الإطار المتقدّم، كشف موقع «ساوث فرونت» الأميركي المتخصّص في الأبحاث العسكرية والاستراتيجية اعتزام الإمارات وإسرائيل إنشاء مرافق عسكرية واستخبارية في سقطرى. ونقل الموقع، يوم الجمعة الماضي، عن مصادر عربية وفرنسية لم يُسمّها، أن وفداً ضمّ ضباطاً إماراتيين وإسرائيليين زار الجزيرة أخيراً، حيث فحص عدّة مواقع يمكن فيها إنشاء المرافق المذكورة.

كذلك، أشارت صحيفة «jforum» الناطقة بالفرنسية إلى أن التطبيع بين أبوظبي وتل أبيب بدأ يؤتي «ثماراً استراتيجية» بالفعل، عن طريق اليمن. ونقلت الصحيفة عن مصادر يمنية قولها إن إسرائيل والإمارات تقومان بالاستعدادات اللوجستية كافة لإنشاء قواعد استخباراتية لجمع المعلومات في جميع أنحاء خليج عدن، من باب المندب (غرباً) وحتى جزيرة سقطرى (جنوباً). ووفقاً للمصادر اليمنية، فإنّ وفداً مشتركاً من ضباط المخابرات الإسرائيلية والإماراتية وصل أخيراً إلى الجزيرة، حيث قام بفحص مواقع مختلفة للقواعد الاستخباراتية التي سيتمّ إنشاؤها هناك. وفي خلفية ما تَقدّم، اعتبرت صحيفة «وول ستريت جورنال» بدورها، نقلاً عن خبراء، أن جزيرة سقطرى تُعدّ أفضل موقع لضرب المشروع الصيني - الباكستاني - القطري القائم على صياغة أجندة اقتصادية للمنطقة على أساس الاقتصاد الجيولوجي لميناء جوادر الباكستاني، في حين تعارض الهند والإمارات ومن خلفهما الولايات المتحدة الأميركية هذا المشروع، وتحاولان عرقلته.

> لم يعُد الحضور الإسرائيلي في الحرب على اليمن خافياً

يُشار هنا إلى أن الإمارات لم تكتفِ باحتلال جزيرة سقطرى، بل اتّخذت العديد من الخطوات الهادفة إلى إلغاء الهوية اليمنية للجزيرة، وفي مقدّمة ذلك منح الجنسية الإماراتية لكلّ الراغبين من «السقطريين» الذين لا يتجاوز عددهم أصلاً عشرات الآلاف، فضلاً عن ربط شبكة اتّصالات الأرخبيل بشبكة الاتصالات الإماراتية (كود إماراتي)، وإلى جانب احتلالها سقطرى المطلّة على المحيط الهندي والتي تربط بين باب المندب ومضيق هرمز، تسيطر أبو ظبي أيضاً على أرخبيل حنيش عبر حلفائها من ميليشيا «حرّاس الجمهورية» بقيادة طارق محمد صالح، وجزيرة ميون في قلب باب المندب، كما أنها تمتلك عدّة قواعد في القرن الأفريقي، أبرزها في مدينة عصب الإرتيرية.

ومنذ الأيام الأولى للحرب، ربطت القيادة السياسية في صنعاء بين العدوان على اليمن والمصالح الإسرائيلية في هذا البلد ذي الموقع الاستراتيجي (البري والبحري)، والذي يشكّل مطمعاً كبيراً للكيان العبري، فضلاً عن سعي السعودية الدائم إلى إبقائه تحت وصايتها. ومن هنا، بدا واضحاً أن السياسة الإعلامية في صنعاء والخطاب السياسي هناك تأسسا على ركيزة الشراكة بين دول العدوان وإسرائيل، بهدف ترسيخ تلك الحقيقة في الوعي الشعبي والنخبوي في اليمن وفي العالم العربي أيضاً. في البداية، قابلت الدعاية السعودية - الإماراتية تلك الأدبيات بالهزء حيناً، وعدم الاكتراث أحياناً أخرى، فيما حرصت إسرائيل على إخفاء بصمتها في مجريات الحرب، لا سيما في مجالي الاستخبارات ونقل التجربة. لكنها مع ذلك لم تستطع تمويه حضورها المباشر في معارك الساحل الغربي وقدوم ضباطها وقياداتها إلى ميناء المخا، وفق ما تؤكّد المعطيات المتوافرة لدى صنعاء.

على أن التكتّم الذي صاحَب الحضور الإسرائيلي في الحرب على اليمن بدأ يتلاشى منذ العام الماضي، وتحديداً خلال الزيارة التي قام بها وزير الخزانة الأميركي ستيفن منوشين إلى تل أبيب في 28 تشرين الأول/ أكتوبر، حيث اجتمع مع رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو الذي تحدّث آنذاك، لأوّل مرة، عن التحول الخطير الذي طرأ على قدرات مَن سمّاهم «الحوثيين»، مشيراً إلى أنه بحسب التقديرات الاستخبارية، فإن طهران نصبت بعض الصواريخ في اليمن بهدف المسّ بإسرائيل، وأنها تنوي نصب منظومات مماثلة في العراق وسورية ولبنان. وكانت مجلة «عدكون استراتيجي» التي يصدرها «مركز أبحاث الأمن القومي» الإسرائيلي قد أصدرت دراسة حول اليمن قالت فيها إنه على الرغم من أن تل أبيب ليست لاعباً مركزياً في الحرب الدائرة في هذا البلد، إلّا أن مصالحها ستتأثر بالتحوّلات هناك، على اعتبار أن الحرب تدور بين السعودية التي تُعدّ شريكا «غير رسمي» لإسرائيل في التحالف ضدّ التمدد الإيراني وجماعة «أنصار الله» (الحوثيين). واعتبرت الدراسة التي أعدّها الباحث أرييه سيتمان أن «الحوثيين» باتوا يمثّلون تهديداً لإسرائيل لما يمتلكون من ترسانة صاروخية يمكن أن تطال مناطق داخل الكيان.

تقرير

الصراع حول حقول الغاز المتوسّط لم يعد «بحيرة غربية»!

لينا كنوش

التوتر يستمر بالتصاعد بين أنقرة وباريس على خلفية المواجهة الدائرة بين تركيا واليونان حول حقول الغاز في هذه المنطقة. كان اكتشاف هذه الحقول الضخمة قد أعطى دفعاً كبيراً لطموحات تركيا التي تستورد 95 في المئة من حاجاتها في مجال الطاقة من روسيا وأذربيجان. يمثّل تحدي الطاقة أولوية بالنسبة إلى أنقرة التي شاركت في المفاوضات حول مشروع أنبوب الغاز، الذي سيربط إسرائيل بتركيا، قبل أن يتم إقصاؤها عنه في 2019.

"اليونان وقبرص وإسرائيل، وإلى حد ما مصر، عمدت الى تهميش الأتراك عبر إنشاء منتدى الغاز بدعم من فرنسا. قررت أنقرة الخروج من عزلتها المفروضة عبر استخدام بحريّتها"، وفقاً لمارك أنطوان أيل مازيغا، مدير "مركز الغاز والبيئة" في "المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية". أمّا فرنسيس بيران، مدير الأبحاث في "معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية"، فهو يعتقد بأن الخلافات القديمة، التي ما زالت راهنة، بين تركيا من جهة، واليونان وقبرص من جهة أخرى، هي أيضاً بين دوافع الوجود البحري التركي المتزايد في المتوسط. "بالنسبة إلى قبرص، فإن أنقرة تسعى إلى إزعاج عمليات التنقيب التي تقوم بها الشركات النفطية قبالة شواطئ هذه الدولة العضو في الاتحاد الأوروبي، ولممارسة الضغوط على نيقوسيا في ما يتعلق بأي حقول جديدة في المتوسط، وعرقلة استطلاع مناطق جديدة قد تحتوي على الغاز الطبيعي"، حسب بيران.

لكن، وبمعزل عن الغاز والخلافات التاريخية، فإن تركيا تريد تأكيد موقعها المركزي في منطقة اعتبرت لزمن طويل دائرة نفوذ غربي حصري، وإعادة النظر بالهيمنة المديدة للقارة العجوز. "نظام إردوغان يعتبر أن مرحلة التعاون مع الاتحاد الأوروبي انتهت، وتخلى عن مطلب الانضمام إليه، وهو يعتزم الدفاع عن مصالح تركيا. هي ترى نفسها محاطة بقوس أزمات يمتد من البلقان إلى القوقاز، مروراً بالشرق الأوسط، وتشعر بالتهديد من الصراعات المحتدمة فيه. في مثل هذا السياق، تعتبر تركيا أنها لا تستطيع الاعتماد سوى على نفسها، ما يفسر سياستها المتشددة"، بنظر أيل مازيغا.

النشاط التركي المتزايد في المتوسط يستفز بشكل خاص فرنسا، التي

> دخل البحر طور التدويل التدريجي في السنوات الماضية

شرعت بدورها في تكثيف وجودها العسكري في شرقه. هي تعمل أيضاً على تعبئة دول الاتحاد الأوروبي للحصول على دعمها في مقابل تركيا في هذه المنطقة. وقد احتل هذا الموضوع حيزاً مهماً من المباحثات بين الرئيس إيمانويل ماكرون والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، مع العلم بأن ألمانيا ما زالت ترجح الخيار الدبلوماسي حيال تركيا. "بنظر فرنسا، فإن المناورات العسكرية المشتركة مع قبرص واليونان وإيطاليا والإمارات هي خطوة نحو حزم أكبر تجاه أنقرة"، يقول بيران. لكن بعض المراقبين يشيرون إلى أن رد فعل أوروبياً مفرطاً في التشدد ضد تركيا قد يضاعف من انزياحها نحو الشرق ومن تقاربها مع روسيا.

يعتقد بيران أن العلاقات بين أنقرة وموسكو معقدة، ما يعني أن المزيد من التوتر بين الأولى وأوروبا لن يقود آلياً إلى تعميق صلاتها بموسكو. "علاقات بوتين بإردوغان جيدة، وهم على تواصل مستمر، ويتوافق البلدان حول بعض الملفات، وهناك تعاون مهم بينهما في ميدان الطاقة، وتحاول موسكو الإفادة من احتمال انزياح أنقرة نحو الشرق. لكنهما من جهة أخرى في معسكرين متقابلين في سوريا وليبيا، وتركيا ليست مستعدة للتخلي عن المعسكر الغربي على الرغم من أن فرص انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي باتت ضئيلة جداً. العضوية في الناتو مهمة جداً بالنسبة إلى القادة الأتراك، وكذلك العلاقات مع الولايات المتحدة. اشترت تركيا من روسيا نظام S400، لكنها تبحث عن تسوية مع الأميركيين لتجنب إقصائها من مشروع طائرة F35، والعقوبات التي يريد البعض فرضها عليها في الكونغرس. الانزياح للشرق لديه حدود"، برأي بيران.

يوافق مارك أنطوان أيل مازيغا على هذا التحليل. وهو مقتنع بأنه على الرغم من أن المحاولة الانقلابية ضد إردوغان قد سمحت له بالتخلص من العناصر الموالية للغرب في النخبة العسكرية التركية واستبدالها بأخرى أقرب إلى روسيا، فإن أنقرة متمسكة بارتباطها الجيوسياسي بواشنطن. "تركيا باقية في الناتو، وهي تعتبر نفسها بمعنى ما منافسة للصين. ما يمكن أن نلحظه هو أن تدهور علاقاتها مع فرنسا ترافق مع تحسّن تلك التي تجمعها بالولايات المتحدة، وذلك على الرغم من أزمة الـ S400".

لكن صعود دور تركيا، العضو في "الناتو"، ومواقفها في سوريا وليبيا وشرقي المتوسط، تعيد النظر بالواقع القائم في هذه المنطقة. روسيا عادت إليها بسبب الحرب في سوريا، وباتت الصين أيضاً تنوجد فيها تدريجياً. المشهد المستجد يدفع إلى مراجعة مقولة أن المتوسط بحيرة غربية. "هو بحر دخل طور التدويل التدريجي في السنوات الماضية. لم يعد مسرحاً حصرياً لدوريات ومناورات الأساطيل الفرنسية والبريطانية والأميركية، بل تحوّل ساحة رئيسية للتنافس الدولي بين القوى الكبرى العالمية"، يختم أيل مازيغا.

بمعزل عن الغاز والخلافات التاريخية، فإن تركيا تريد تأكيد موقعها المركزي في منطقة اعتبرت لزمن طويل دائرة نفوذ غربي حصري (أ ف ب)

ليبيا

حراك أممي في الوقت الضائع

تتواصل المفاوضات غير المباشرة بين مختلف الأطراف الإقليمية المعنيّة بالأزمة الليبية، وسط تراجع الاهتمام الأميركي بسبب قرب الانتخابات الرئاسية. وفي ظلّ تأكيدات مصرية وتركية أن مرحلة التفكّك الحالية في البلاد مستمرّة حتى إشعار آخر

تركيا وحلفاؤها مشغولون في تسوية الأوضاع في العاصمة (أ ف ب)

القاهرة ـ رمزي باشا

باتت الوساطة الأممية التي تقودها رئيسة بعثة الأمم المتحدة بالإنابة، ستيفاني ويليامز، هي المحرّك الرئيس بين الأطراف الليبية المختلفة، في ظلّ دعوات إلى الإسراع في عملية سياسية يمكنها أن تعيد بناء الدولة المفكّكة منذ سقوط نظام معمر القذافي. يأتي ذلك في وقت توصّلت فيه المفاوضات المكثّفة التي شهدها الأسبوع الماضي إلى اتفاق على بدء مسار سياسي سينطلق على الأرجح بعد الانتخابات الأميركية، بالنظر إلى انشغال الإدارة الحالية باستحقاق تشرين الثاني/ نوفمبر. جولة ويليامز في دول الجوار الليبي، ومن بينها مصر، حملت كثيراً من المقترحات والأفكار المعلنة وغير المعلنة، كما تزامنت مع اتصالات غير مباشرة بين القاهرة وأنقرة عبر أطراف ليبية، من أجل التنسيق لهذا المسار السياسي، وهو ما قد تبرز نتائجه بصورة ملموسة خلال الأسابيع المقبلة، ولا سيما لجهة وقف الاقتتال بين قوات حكومة «الوفاق» وقوات المشير خليفة حفتر.

الرؤية الأممية تستند إلى مناقشات واسعة في جنيف، تضمّ، إلى جانب الأطراف الليبية الثلاثة الرئيسة، ممثلين عن الجنوب وباقي المناطق التي عانت من التهميش خلال المراحل الماضية؛ وذلك لتلافي الأخطاء التي شابت إقرار اتفاق الصخيرات، وخصوصاً منها استبعاد أنصار القذافي من الحوار على رغم قوتهم، وفق ما تقول مصادر مطلعة. وعلى رغم أن جولة ويليامز أعادت إحياء الدور الأممي، إلا أنها اصطدمت بصعوبات مرتبطة بالمواقف المتعنّتة لبعض الأطراف. ولذا، طلبت المندوبة الأممية دعماً عربياً واسعاً عبر الجامعة العربية، التي يفترض أن تقوم بدور أكبر خلال الفترة المقبلة، كما أبدت ترحيبها بالخطوات الأميركية في الضغط على الجميع للعودة إلى طاولة المفاوضات.

ومع أن موعد استئناف المفاوضات لا يزال غامضاً ولا حديث واضحاً عنه، إلا أن التهدئة على أرض الواقع هي أفضل ما يمكن الوصول إليه الآن، كما ترى القاهرة، علماً بأن التراجع الكبير في إرسال الأسلحة والمرتزقة من تركيا وبقية الدول العربية لمصلحة طرفي النزاع يزيد احتمالات تجنّب الصدام العسكري في سرت. مع ذلك، لا ترغب الأمم المتحدة، حتى اليوم، في تبنّي المقترح الأميركي الذي أعلنه رئيس مجلس النواب الليبي، عقيلة صالح، لتشكيل عاصمة مؤقتة في سرت، فيما تقول مصادر شاركت في لقاءات مع ويليامز إن محاولة الأمم المتحدة إظهار الحياد هدفها استمرار كسب ودّ الأطراف كافة.

وعلى بعد أقلّ من ستة أشهر من موعد الانتخابات التي دعا إليها رئيس «الوفاق»، فائز السراج، لا يزال مصير هذه الانتخابات مجهولاً، وسط تشكيك في قدرة المتصارعين على التوافق على شكل النظام السياسي قبيل خوض الاستحقاق، داخل محور "الوفاق". جاء ذلك عبر تصريحات للمتحدث باسمه، وأيضاً عبر شبكة إعلامية واسعة من تلفزيونات ومواقع إلكترونية، يتلقى أغلبها تمويلاً إماراتياً. وتراوحت ردود فعل حفتر ومحيطه إزاء إعلان وقف إطلاق النار، الصادر الشهر الماضي في بيانين لرئيس البرلمان ورئيس المجلس الرئاسي لحكومة طرابلس، بين الرفض و"التطلّع إلى... إطلاق عملية سياسية ناجحة"، وفق ما جاء في أحدث بيانات المتحدث باسم حفتر، أحمد المسماري.

في هذا السياق، واصلت قوات حفتر القيام بتحرّكات عسكرية، تندرج - على رغم محدوديتها - في إطار سردية "الحرب المستمرة" التي يرغب محور الشرق في اتخاذ حزمة إجراءات سياسية قبل خفض التصعيد

لدى وزير الداخلية طموحات في إطاحة الحكومة عبر السعي إلى عقد صفقة مع عقيلة صالح، رئيس البرلمان المتركّز في شرق البلاد. ويرى آخرون أن باشاغا يمثّل حصان رهان تركي، وخاصة أنه يتحدّر من مدينة مصراتة الساحلية النافذة عسكرياً ومالياً. لكن يبدو ذلك مبالغاً فيه. ما حصل اختبار متبادل، أراد السراج من خلاله إظهار أنه قادر على إدارة الوضع في غرب البلاد، وكبح باشاغا الذي قد تؤدّي حماسته إلى اقتتال بين التشكيلات العسكرية التي حاربت حفتر. لكن الإبقاء على وزير الداخلية أظهر أيضاً أن وجوده مهم والتخلّص منه ليس أمراً سهلاً، بكلّ ما يمثله من انتماء جهوي وعلاقات مع تركيا والغرب ودول الجوار، وخطابه المنفتح خاصة تجاه مصر والحازم إزاء بعض شركائه.

حفتر و«الحرب المستمرة»

ركّز محور المشير خليفة حفتر، في الفترة الأخيرة، على تغذية الخلافات في تغريدة على "تويتر" إن "التظاهر السلمي والتعبير عن الرأي مكفول لكلّ مواطن، وعلينا الاستماع جيّداً إلى صوت الشارع"، وردّ على منتقديه بأن "المندسّين ليسوا المتظاهرين، بل الذين ظهروا بمظهر رجال الأمن وهم مجموعة خارجة عن القانون أطلقت النار".

لم تقبل مجموعات مسلّحة محسوبة على الحكومة وتؤدّي مهامّ أمنية لمصلحتها، تصريحات باشاغا، ولا سيما أن لها حساباً قديماً معه تجدّد بعد انتهاء الهجوم على طرابلس حيث استأنف الرجل وعوده بحلّ الميليشيات ودمجها في القوات النظامية. أصدرت تلك المجموعات تهديدات للوزير، وحمّلته مسؤولية ما جرى، كما صدر تكليف لها من المجلس الرئاسي في يوم إيقاف عمل باشاغا نفسه بـ"ضبط الأمن في العاصمة".

لكن، أظهرت التطورات أن لوزير الداخلية حزماً متيناً من الداعمين، جزء كبير منهم من الأجهزة الأمنية نفسها. وافق باشاغا على التحقيق معه، حتى إنه طالب ببثّ المداولات على التلفزيون، ووصل في موكب استعراضي إلى مقرّ المجلس الرئاسي. جرى التحقيق يوم الخميس، واستمرّ ساعات قبل أن يُختتم ببيان أعلن فيه المجلس الرئاسي رفع الوقف الاحتياطي عن العمل واستئناف باشاغا لمهامّه. وفي بيان مصوّر، أكد هذا الأخير مواصلة العمل على دمج التشكيلات المسلحة وإعادة تأهيلها.

يرى مقربون من قيادة "الوفاق" أن

عودة إلى ما قبل «طرابلس»: لا حرب ولا سلام

لم يفصل سوى أسبوع بين قرارَي حكومة "الوفاق" إيقاف وزير الداخلية فتحي باشاغا عن العمل، ومن ثمّ إعادته إلى ممارسة مهامّه. مفارقة تعكس واقع الصراع داخل معسكر الحكم في غرب ليبيا، فيما يحاول المشير خليفة حفتر شرقاً إبقاء الزخم العسكري المُوَجّه نحو النصف الآخر من البلاد قائماً، في ظلّ تعطّل المفاوضات حول الحلّ السياسي

نجاح محمد

يوم الجمعة الماضي، أصدرت القيادة الجماعية لحكومة "الوفاق" في طرابلس قراراً يقضي بـ"وقف وزير الداخلية... احتياطياً عن العمل ومثوله للتحقيق الإداري". جاء ذلك في خضمّ تظاهرات شعبية في العاصمة احتجاجاً على الفساد المستشري في الدولة والانقطاع المتكرر للكهرباء ونقص السيولة وانتشار النفايات في الشوارع. رفض وزير الداخلية، فتحي باشاغا، منع المحتجّين من التظاهر وغلق الطرقات المؤدّية إلى وسط المدينة على رغم حظر التجول المفروض لاحتواء وباء "كوفيد - 19". كما انتقد التعامل العنيف معهم من قِبَل "القوة المشتركة" المؤسَّسة حديثاً والمتكوّنة من ميليشيات طرابلسية. تدريجياً، صَعّد الرجل لهجته، وقال

اسبوع واحد فقط فصل بين إيقاف باشاغا وإعادته إلى العمل (أ ف ب)

تقرير

تسلك قضية تسميم المعارض الروسي، أليكسي نافالني، طريقها إلى التدويل، بمباركة أوروبية - أطلسيّة. قضيّةٌ يسعى الغرب مِن ورائها إلى مضاعفة الضغط على روسيا، في وقتٍ تزدحم فيه الخلافات بين الجانبين. وعلى رأسها تخوّف الدول الأوروبية من أن تؤدّي الأزمة في بيلاروسيا إلى تدخّل عسكري روسي مباشر - لم يستبعده الحليفان -. أو إلى مضيّ موسكو قُدُماً في تطبيق مشروع دولة الوحدة لدرء خطر تحوُّل هذا البلد الفاصل بحكم موقعه الجغرافي بينها وبين «الناتو»، إلى قاعدة أمامية للحلف، فيما لو تنازلت موسكو عن حليفها المأزوم الكسندر لوكاشنكو

تدويل قضية نافالني: أيّ تنازلات يريدها الغرب؟

تنازيد الضغوط الأميركية لتطيير مشروع «السيل الشمالي 2» لمدّ خط أنابيب غاز روسي إلى ألمانيا (أ ف ب)

لا يمكن فصل الدعوة الأوروبية - الأطلسيّة إلى تدويل قضيّة تسميم المعارض الروسي، أليكسي نافالني، عن سياق الحراك الدولي المتصاعد ضدّ موسكو. وفي انتظار أن تتّضح مآلاته، تجيء التطورات في توقيت شديد الحساسية، إن كان لجهة تزايد الضغوط الأميركية لتطيير مشروع "السيل الشمالي 2" لمدّ خطّ أنابيب غاز روسي إلى ألمانيا، أو الأزمة في بيلاروسيا، حيث تبدو روسيا مستعدّة لتدخل عسكري ينقذ حليفها الكسندر لوكاشنكو الذي يواجه، منذ إعادة انتخابه لولاية رئاسية سادسة في التاسع من آب/ أغسطس الماضي، تظاهرات - مدعومة غربيّاً - تطالب برحيله عن السلطة.

غداة الدعوة الأوروبية إلى تحقيق دولي في قضية تسميم نافالني، والتهديد بفرض عقوبات جديدة ضدّ موسكو، جاء موقف "مجلس شمال الأطلسي" (هيئة صنع القرار الرئيسة في الحلف) الذي عقد اجتماعاً استثنائياً، يوم أمس، لهذه الغاية، متساوقاً. إذ طالب، من جهته، بتحقيق دولي يقتضي أن تكشف موسكو لـ"منظمة حظر الأسلحة الكيميائية" عن برنامجها المرتبط بغاز "نوفيتشوك" للأعصاب. جميع الدول المنضوية في إطار الحلف اتّفقت على إدانة ما وصفته بـ"الهجوم المروّع"، فيما قدّمت ألمانيا، حيث يخضع نافالني للعلاج منذ نحو أسبوعين، إيجازاً لباقي الدول الـ 29 الأعضاء بعد إعلانها عن وجود "أدلة قاطعة" على تعرّض المعارض الروسي للتسميم بواسطة "نوفيتشوك". في الإطار نفسه، أشار الأمين العام لـ"الناتو"، ينس ستولتنبرغ، إلى وجود "إثبات لا شكّ فيه" بأنه تمّ استخدام غاز الأعصاب، معتبراً أن "على الحكومة الروسية أن تتعاون بشكل كامل مع منظمة حظر الأسلحة الكيميائية في شأن تحقيق دولي محايد". وفيما لم يستبعد طرد دبلوماسيين روس على غرار ما حصل إبان تسميم العميل الروسي المزدوج سابقاً سيرغي سكريبال وابنته يوليا بالمادة نفسها، سدّد ستولتنبرغ على أن عمليّة تسميم نافالني، التي تمّت في روسيا، مختلفة كثيراً عن الهجوم الذي تعرّض له سكريبال، على أراضي بلد عضو في الحلف، إذ "تعتقد بشدّة بأن هذا انتهاك صارخ للقانون الدولي، ولذا يتطلب رداً دولياً، لكنني لن أتكهّن الآن في شأن طبيعة الردّ الدولي بالتحديد". وثمّة ما يميّز هذه القضية، وخصوصاً لجهة وقوعها داخل الأراضي الروسية أثناء سفر المعارض من مدينة تومسك إلى موسكو، عندما حطّت الطائرة التي تقلّه بشكل اضطراري في أومسك في غرب سيبيريا، وهو ما تعتقد الدول الغربية أنه يعزّز حججها، على رغم إصرار الكرملين على عدم تحميل الدولة الروسية مسؤولية ما حصل لنافالني، ورفض روسيا، لغاية الآن، فتح تحقيق جنائي يفتقر إلى أدلّة على ارتكاب جريمة. وفيما تعرّضت العلاقات الروسية - الغربية لجرعة إضافية من السمّ بفعل الموقف الأوروبي - الأطلسي المتشدّد، ينذر التحوّل الكبير في اتجاه قضية نافالني، وتحميل روسيا (كون الحادثة جرت على أراضيها) مسؤولية تسميم المعارض الأبرز للكرملين، بتأزُّم لا تزال تبعاته غير واضحة، وخصوصاً في ظلّ تهديد الغرب روسيا بسلاح العقوبات، في وقتٍ يئنّ فيه اقتصاد الأخيرة تحت وطأة تداعيات وباء "كورونا" وحرب أسعار النفط. ويضاف إلى ما سبق، الضغوط التي تتعرّض لها موسكو لرفع يدها عن بيلاروسيا، حيث ربط الرئيس الكسندر لوكاشنكو تداعيات قضية نافالني بمحاولة الضغط على الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، لثنيه عن التدخل في شؤون مينسك، وربما وقف اندفاعته نحو تطبيق مشروع دولة الوحدة (1999)، نظراً إلى أهمية موقع بيلاروسيا الجغرافي بين روسيا و"الأطلسي" الذي توسّع شرقاً في اتجاه دول البلطيق الثلاث: إستونيا ولاتفيا وليتوانيا، إلى جانب بولندا. وتنطلق روسيا من واقع أن فقدانها بيلاروسيا سيجعل معظم مناطق الغرب، ومن بينها موسكو وسانت بطرسبرغ، مكشوفة، فيما لو تمدّد "الناتو" إلى الأراضي البيلاروسية، ونَصَب منظومات دفاعية، كما هي الحال في بولندا وجمهورية التشيك. وعلى رغم امتلاكها أسساً قانونية للتدخّل في بيلاروسيا، لا يزال هذا الخيار مستبعداً، وخصوصاً أنه سيزيد من العلاقات المتوتّرة أصلاً مع الغرب، والمرشّحة لمزيد من التدهور في مقبل الأيام، على خلفية قضية نافالني.

(الأخبار)

> طالب «الناتو» موسكو بالكشف لـ«منظمة حظر الأسلحة الكيميائية» عن برنامجها المرتبط بـ«نوفيتشوك»

> تبحث القاهرة عن بديل قوي من حفتر جزّاء الوضع الصحي للرجل

أما في أنقرة، فثمة انشغال واضح بتسوية الخلافات التي تفاقمت في طرابلس وتزايدت معها التظاهرات ضدّ الحكومة هناك، في وقت يعمل فيه وزير الداخلية في «الوفاق»، فتحي باشاغا، على إنهاء خلافاته مع السراج، وسط رفض لمقترحات في شأن مسار الانتخابات المتوافق عليه بين الأخير وصالح. كما تشير التقارير من العاصمة إلى توتر في العلاقة بين السراج وتركيا، وخاصة في ظلّ شعور الرجل بالتهميش لحساب باشاغا الذي زار العاصمة أنقرة من دون تنسيق مسبق. لكن التشديد التركي على الإبقاء على التشكيلة الحالية للمجلس الرئاسي من دون تغيير، كان كفيلاً بإعادة شعور الثقة والارتياح إلى رئيس "الوفاق"، الذي أجّل - مع ذلك - زيارة مفترضة لأنقرة حتى إشعار آخر.

على خطّ موازٍ، يتجدّد الجدل في القاهرة في شأن الوضع الصحّي لحفتر بسبب تقدّم الرجل في العمر ووصول تقارير عن تدهور حالته بشكل كبير، وهو ما يجعل مصر تبحث عن بديل محتمل يمكن الرهان عليه، في موقف يتّسق مع الرؤية الخليجية التي لا تزال تدعم حفتر، لكن مع البحث عن خليفة له. وفي هذا الإطار، لا يبدو أن المتحدث باسم قوات حفتر، اللواء أحمد المسماري، الطامح إلى خلافة قائده، يحظى - على رغم علاقاته - بالقدرة التي تُمكّنه من نيل هذه الثقة.

المفاوضات حول إنشاء "منطقة منزوعة السلاح" في مدينة سرت ومنطقة الجفرة الواقعة جنوبها، واستئناف إنتاج النفط وتصديره، تراوح مكانها. تشير صور وشهادات إلى تواصل انتشار مقاتلي مجموعة "فاغنر" العسكرية الروسية في المواقع الطاقية، ما يعني أن قوات حفتر لم تتخذ أيّ إجراء عملي لإظهار حسن نياتها.

كذلك، ثمّة إشارات على رغبة محور شرق ليبيا وداعميه في أن يتمّ اتخاذ حزمة إجراءات سياسية متكاملة قبل بدء تنفيذ أيّ خطوات لخفض التصعيد. تصبّ مطالب هذا المحور في إيجاد صيغة جديدة لتوزيع إيرادات الطاقة، وإعادة تشكيل المجلس الرئاسي لحكومة "الوفاق"، وسحب المقاتلين السوريين من غرب البلاد. يلقى المطلب الأول قبولاً من أهمّ الفاعلين في غرب ليبيا، لكن هؤلاء يطالبون بإخراج قوات "فاغنر" من البلاد، ويطرحون تنظيم انتخابات تشريعية. أيضاً، ترفض شريحة واسعة التفاوض مع حفتر، أو ضمان موقع له كقائد للجيش، لاقتناعها بأنه يسعى إلى الإمساك بالسلطة.

يقود كلّ ذلك إلى اعتبار حالة الجمود العسكري والسياسي القائمة في ليبيا صيغة معدّلة لما قبل حرب طرابلس: حالة لا حرب ولا سلم، مع تخندق كلّ محور وراء مطالب قصوية تبدو مستحيلة التطبيق. الفارق الوحيد بين الوضعين السابق والحالي هو وجود قوات أجنبية في البلاد خلقت توازناً عسكرياً خفّض طموحات الحلّ العسكري.

وفيات

انتقل إلى رحمته تعالى المرحوم
الحاج محمود خليل قنتوني
والد: خليل وعلي ودلال وفاتن وعلا وعبير
شقيق: أحمد ومحمد والشيخ علي ورضية وزينب ومحاسن وفاطمة
أصهرته: علي عيسى ومحمد سرحان ومحمد الحاج وحسن عبد الحسين
صُلي على جثمانه الطاهر أمس الجمعة 2020/9/4 ثم ووري الثرى في جبانة خربة سلم
بسبب الظروف الراهنة تُقبل التعازي عبر الهواتف التالية:
أخوه الشيخ علي: 70880000
ابنه خليل: 03419001 ابنه علي: 03330331
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب

إعلانات رسمية

وثيقة تبليغ مدنيّة
صادر عن محكمة الإستئناف المدنيّة في بيروت
الرئيس نسيب إيليا
رقم الدعوى: 1/2017
طالب التبليغ: عدنان أبو عياش
المطلوب تبليغه: هدى عبد الله عبد المولى
الأوراق المطلوب إبلاغها: نسخة طلب إدخال ورود 13/6/2020، مع موعد جلسة 28/9/2020.
بالدعوى المُقامة عليكم من طالب التبليغ وموضوعها: «(مالية) - إعتراض على أتعاب محاماة»، فيقتضي حضوركم بالذات، أو من يُمثلكم قانوناً بموجب سند مُصدّق لإستلام الأوراق وإلاّ تجري بحقكم الإجراءات القانونيّة، سنداً للمادة /409/ أ.م.م.
رئيس القلم مرسال شديد

دعوة لحضور جمعية عمومية
يدعو مجلس إدارة الجمعية التعاونية الزراعية في عين ابل وجوارها هيئته العامة لعقد جمعية عمومية عادية وذلك نهار السبت في 19/9/2020 في القاعة العامة لبلدية عين ابل عند الساعة الخامسة عصراً وإذا لم يكتمل النصاب تعقد بمن حضر نهار السبت بتاريخ 26/9/2020 عند الساعة الخامسة عصراً في نفس المكان، وعلى جدول أعماله:
1- الاطلاع والمصادقة على ميزانية 2018 وما قبل و2019 لإبراء ذمة أعضاء مجلس الإدارة.
2- انتخاب هيئات مسؤولة جديدة.

مبوب

خرج ولم يعد

خرجت العاملة الاثيوبية
ZENEB ABDU TIHIR
من منزل مخدوميها الرجاء ممن يجدها الاتصال على الرقم 03/105940

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

الأخبار
al-akhbar
السبت 5 أيلول 2020 العدد 4140

رسالة البندقية

السينما تبعث الحياة في الجزيرة... والافتتاح زواج «طلياني» تعيس!

البندقية ـ **شفيق طبارة**

كأنّ السينما ألقت تعويذتها على الجزيرة. كأنّها الدواء! جزيرة «ليدو» قبل «مهرجان البندقية السينمائي الدولي» كانت فارغة تقريباً. ومع بداية المهرجان قبل أيام، فُتحت المحالّ، وجاء زوار المهرجان بلا خوف من التجمعات. اختفت تقريباً أقنعة الوجه في الطرقات والمطاعم والمقاهي، لكن الإجراءات الصحية للمهرجان لا تزال كما هي. أقنعة داخل قصر المهرجان والصالات. التباعد في أماكن التصوير لا يزال مفروضاً. السجادة الحمراء ارتفع حولها حائط طويل لمنع الجمهور والصحافيين والمصورين الذين لم يقدموا بياناتهم الصحية من الدخول (ولكن لم يمنعهم الحائط، ارتفعت الكاميرات في أيديهم من وراء الجدار). كل شيء يسير بسلاسة، ما عدا الحجز الإلكتروني، إذ أنّ الإدارة أجبرت الجميع على حجز مقاعدهم في الصالات إلكترونياً (حجز ثلاثة أفلام قد يستغرق 30 دقيقة)، فقد كان من الأسهل لو أنّ هناك تطبيقاً على الهواتف.

احتفال افتتاح المهرجان كان كبيراً. للمرة الأولى، يُعرض الاحتفال الافتتاحي والفيلم الافتتاحي مباشرة في جميع الصالات السينمائية في إيطاليا. اجتمع في الافتتاح مدراء ثمانية مهرجانات أوروبية (البرتو باربيرا (البندقية)، كارلو شاتريان (برلين)، تييري فريمو (كانّ)، لي لي هينستين (لوكارنو)، فاينا كالودجرفتش (روتردام)، كاريل أوتش (كارلوفي فاري)، خوسي لويس ريبوردينوس (سان سباستيان)، تريشيا تاتل (لندن). وقفوا جنباً إلى جنب «لإعادة التأكيد على أهمية فن السينما كدليل على التضامن مع صناعة السينما العالمية التي تضرّرت بشدة من الوباء» قال باربيرا.

السحر الذي كان في الخارج، لم نجده في فيلم الافتتاح. فيلم إيطالي افتتح المهرجان، للمرة الأولى بعد إحدى عشرة سنة. عودة السينما الإيطالية لافتتاح المهرجان لم تكن موفّقة جداً. يبدو كأن الجدار الذي عزل السجادة الحمراء عن فضول الجمهور، هو نفسه الذي بناه الزوجان حول نفسيهما في فيلم «الروابط» (خارج المسابقة الرسمية) للمخرج الإيطالي دانيالي لوكيتي. الفيلم مقتبس من رواية بالعنوان نفسه، نُشرت عام 2014 للكاتب الإيطالي دومينيكو ستانوني. الفيلم سرد الانهيار المؤلم لزواج فاندا (ألبا روروواكر) وألدو (لويجي لوكاسيو). مع الذكرى الجديدة لفيلم «قصة زواج» الذي قدّمها نواه بومباك في «الموسترا» العام الماضي، تحدّى لوكيتي انهيار الزوجين، وواصل طوال الفيلم التنقّل بين وجهات النظر.

نحن في نابولي، زواج فاندا وألدو يدخل في أزمة عندما يقع ألدو في حب ليديا (ليندا كاريدي). ثم نلقاهما مرة أخرى بعد سنوات، لا يزالان متزوجين مع طفلين. اعترافه بالخيانة كلّفه، الطرد من المنزل، ومواصلة قصة الحب مع ليديا، بعيداً عن زوجته وأطفاله. الرغبة في رؤيتهم مرة أخرى، وعواطفه القديمة، تدفع ألدو للعودة إلى فاندا والأولاد. مع ذلك، لم يتم إصلاح بعض الأشياء، والحياة لا يمكن أن تعود كما كانت. ولكنها في بعض الأحيان تمشي بمفردها إلى نهاية مريرة، لأن لا أحد يملك القوة أو الإرادة للغضب والقتال.

ليس الحب وحده ما يربط الإنسان، ولكن هناك شيء يتبقّى حتى بعد زوال الحب. بقاء الزوجين مع بعض ليس عن حب. يمكن أن يكون عن حقد، عن عار، عن كره، عن خزي. يخبرنا الفيلم عن الضرر الذي يسببه الحب عندما يجعلنا فجأة نغير قراراتنا ومواقفنا وطريقنا. والأسوأ عندما يتوقف عن مرافقتنا. لوكيتي يأخذنا ذهاباً وإياباً في الوقت، ويزودنا في كل مرة بجزء من القصة. اختار أن يروي المشاعر المعقّدة من خلال لقطات قريبة جداً، وحدّد نفسه في مساحة صغيرة جداً، في الديكورات الداخلية والشقق الصغيرة والغرف، حيث تحدث المأساة الحقيقية، التي تحمل البلاء والتعاسة.

تقع على المشاهد مهمة إعادة تجميع قطع القصة، وترتيبها من أجل معرفة، أين انتكست، وما التضحية التي قدمها الزوجان لأطفالهما البالغين الآن الذين يشاركون القصة بعد هذه السنوات. خلف الأبواب المغلقة، يقدّم لنا المخرج لوحة غير كاملة عن ايديولوجية الأسرة في جو مشحون بالنغمات الدرامية التي كان يسهل تجاوزها وعدم إبرازها. ولكن المخرج استسلم لها، ليجبرنا على اتخاذ موقف ما، ولشرح الكثير عن الشخصيات وأفعالها. كأنه يريد أن ينقل كل كلمة من الكتاب إلى الشاشة! حاول لوكيتي بناء لوحة جدارية لعائلة، بمشاهد ذات كثافة عاطفية. ولكن التزامه بالرسم التركيبي للشخصيات، نقل فيلمه إلى منطقة الكليشيهات: الرجل الخائن والأناني والجبان، المرأة المنزعجة من المسؤوليات الأسرية والفراغ اليومي، والأطفال المصابون بصدمات نفسية بسبب الانفصال. في النهاية، نعرف جيداً صعوبة نقل رواية إلى فيلم سينمائي، بخاصة إذا كانت الرواية تتحدث عن الكثير من المشاعر المتشابكة والمركّبة. حاول لوكيتي كثيراً، لكنه لم ينجح... بدا كأنه ينقل الرواية بحذافيرها، كأنه حفظ الرواية والشخصيات، لكنّه لم يفهمها.

من فيلم «الروابط» (خارج المسابقة الرسمية) للمخرج الإيطالي دانيالي لوكيتي

عن معنى «الحيادية» في لبنان والإقليم

في إطار الفعّاليات التي ينظّمها «معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية»، يدعو «المنتدى الدولي للحوار المسؤول»، يوم الأربعاء المقبل، إلى حضور ندوة حوارية بعنوان «الحيادية ـ قراءة في المفهوم، والمسار الإقليمي واللبناني» عبر تطبيق «زوم». يشارك في اللقاء الافتراضي المرتقب كلّ من: الأب إدغار الهيبي، مها خير بك، شربل طربيه، مصطفى بيرم، ليلى صالح، إبراهيم نجار وعصام حسيني، على أن تتولى بتول الخنسا مهمّة إدارة الحديث.

ندوة حول «الحيادية ـ قراءة في المفهوم، والمسار الإقليمي واللبناني»: الأربعاء 9 أيلول (سبتمبر) الحالي ـ الساعة الرابعة بعد الظهر ـ تطبيق «زوم» ـ رمز المشاركة: 85854773335. للاستعلام: 05/642191

«رحلة» في بيروت: عدد خاصّ بالانفجار

صدر حديثاً العدد الـ 14 من مجلة «رحلة» بعنوان «أنتَ في الجحيم اكتب وصيّتك». يتناول العدد انفجار بيروت ونتائجه الكارثية على مستويات عدّة. شارك فيه كتّاب من خارج أسرة التحرير، كما أنّه متوافر ورقياً بصورة استثنائية. المجلة التي تصدر إلكترونياً منذ شباط (فبراير) 2019، قرّر القائمون عليها إصدار عددها الأخير ورقيّاً (تصميم رواند عيسى) بدافع عبروا عنه في الصفحة الأخيرة على النحو التالي: «... وفي وسط هذا الدمار الفظيع، كان لا بدّ من وجود شيء ملموس، ثابت، يجعل اليد تتحسّس كلمة، صرخةً أو روحاً، فأتت «رحلة» بشكلها الورقي، مطبوعة». ويشار إلى أنّ المجلة فتحت المجال للتبرع عبر Patreon. (للاستعلام عن النسخة الورقية: زاوية «نقاط التوزيع» على الموقع الإلكتروني)

هند باز في «بيت القصيد»: الفنّ والهجرة والاكتئاب

بعد هجرة دامت تسع سنوات متتالية، وغيابها عن الشاشات المحلية، تعود الممثلة اللبنانية هند باز إلى وطنها. في تمام الساعة التاسعة من مساء اليوم السبت، تطل الفنانة الشابة مع الإعلامي والشاعر زاهي وهبي ضمن برنامجه «بيت القصيد» الذي تبثّه قناة «الميادين». في هذا اللقاء، ستتحدّث باز عن أمور عدّة، مشيرةً إلى أنّها لن تهاجر مجدداً، وأنّ كارثة انفجار مرفأ بيروت في الرابع من آب (أغسطس) الماضي زادتها تعلّقاً ببلدها. كما أنّها ستعترف بمرورها بحالة اكتئاب بسبب ابتعادها عن لبنان وشاشاته، على الرغم من مشاركتها في بعض الأعمال العربية خلال إقامتها الطويلة في دبي. تجدر الإشارة إلى أنّه على مدى سنوات، كانت هند باز قد لفتت الأنظار منذ انطلاقتها في أعمال درامية لبنانية من بينها «حصاد المواسم» (2006) و«طالبين القرب» (1997) و«فاميليا» (2001) و«ورود ممزقة» (2008) و«زمن الأوغاد» (2003)، فضلاً عن وقوفها على خشبة مسرح جورج خبّاز.

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»

زاهي وهبي وهند باز في كواليس الحلقة

«شجرة» عبد القادري مزروعة في «تانيت»

بعد الدمار الذي لحق بـ «غاليري تانيت» (مار مخايل) جرّاء انفجار مرفأ بيروت، تأتي مبادرة «أودُّ اليومَ أن أكونَ شجرة» لتشكّل موقفاً مواجهاً للخراب وتكريماً للمعمار اللبناني الفرنسي جان مارك بونفيس، مصمّم مبنى الغاليري الذي لقي حتفه في 4 آب (أغسطس) الماضي، ومساهمة في إعادة بناء وَترميم المنازل المتضررة. ينفّذ الفنان عبد القادري (الصورة) المشروع فيما يديره مارك معركش، وهو مؤلّف من جداريتين مقسمتين إلى 80 رسماً من الكرتون (مقاس الواحدة 100 × 70 سم)، ستكون معروضة حتى 25 أيلول (سبتمبر) 2020. عن المشروع يقول القادري في بيان إنّه «ردّ فعل بنّاء ضد الشعور بالاختناق... عند محاولتي رصد الألم الذي يحيط بي، لطالما راودتني فكرة متكررة: تمنّيت لو أكون شجرة».

الأخبار
al-akhbar

السبت 5 أيلول 2020
العدد 4140 السنة الخامسة عشرة
Samedi 5 Septembre 2020 n°4140 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

إبراهيم الكوني
مهاجر ليل يعبر الظلمات

خليل صويلح

يصعب أن نقتفي أثر إبراهيم الكوني، لعله يتوارى في الصحراء، نصّاً وراء آخر. «عوليس» بدوي يكتب ترحاله برمل الأسطورة. «مهاجر ليل يعبر الظلمات» بذخيرة وجودية بلا ضفاف. روائي نسف بمهارة الأفكار الراسخة لمدنيّة الرواية، نحو أنطولوجيا الصحراء، من «التبر»، و«نزيف الحجر»، و«واو الصغرى» إلى عشرات الروايات الأخرى، في سرد موشوري لأحوال الضوء والعتمة والأسرار، وخطوط الرمل، هائماً في متاهة الصحراء الكبرى وميثيولوجيا قبائل الطوارق والأقدار التي تتحكم بمصائر البشر هناك. أطلس متفرّد في تشريح البيئة وكائناتها وألغازها بوصفها فردوساً مفقوداً ومقدّساً. هكذا تتناوب الحميمية والقسوة في تفسير هذا الكون اللانهائي المفتوح على الحكمة والتأمل والنبرة الصوفية.

في كتابه الجديد «تجديف في حقّ الجذور» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، لا يغادر إبراهيم الكوني مناخاته، لكنه هذه المرّة يقف عند تخومها في محاولة لفحص تجربته من الداخل وخصائص مغامرته السردية. أن تكتب عن الصحراء، وأنت تقيم في جبال الألب السويسرية، كأن المخزون البصري للمكان الأول لا يغادر صاحبه مهما ابتعدت المسافة. هنا يصقل العبارة بشذرات مكثّفة وتأملات فلسفية وشهادات أدبية، وحوارات معه، تعمل جميعاً على إعادة تعريف الزمن المنهوب، وأسباب هبوب الرائحة الأولى «هوسنا بكل ما هو قديم دليل على أن الزمن أيضاً يهرم: فما يستهوينا في آثار العمران، أو موسيقى الأزمنة البالية، أو أساطير الأولين هو بصمة القدامة عندما كان الزمان، بالمقارنة مع زماننا، ما زال بِكراً، يسري في وجدان الكينونة سرّاً غامضاً، موسوساً بروح وحي طفولي، ليبثّ في وجودنا العصي هذه الشحنة الشجنية المحمومة، شهادةً على حضور مبدأ غيبيّ نسميه فردوساً، قدره أن يبقى في واقعنا غنيمةً حدسية مغتربة، نروّضها في أحلامنا، ولكن هيهات أن نفلح في استعادتها كذخيرة عفوية وفتية، مشفوعة بفتنة المحال، إلا في حضرة الموت» يقول. من جهةٍ أخرى، يوضّح بأن «كل الأفكار الكبرى نتجت عن التأمل، والتأمل لا يحدث إلا بعزلة». العزلة التي فرضتها جائحة «كوفيد 19» قادت صاحب «الفزّاعة» إلى الانكباب على تدوين «يوميات سجين الوباء»، في متوالية فكرية ترصد جرائم الغزاة ضد الطبيعة، والمؤامرة البيئية في حق الصحراء وإجبارها على التنكر لهويتها السخية، و«التدخل الجراحي الدموي الذي جرّدها من ذخيرتها الطبيعية»، داعياً إلى التربية الروحية في مواجهة الأوبئة ومحنة التصحر. كما يشير إلى نزعة الترحال لدى الكائن: «ليس لسلطات العالم أن تستهجن نزعة العصيان في إنسانٍ يرفض أن يمتثل لقانون طوارئ يفرض حظر التجوال، ما لم تعترف بهويّة الجنس البشري في بعدها الطبيعي. فالإنسان إذا كان كائناً طبيعياً بالأرومة، فإنه كائنٌ حرّ بالفطرة. وأن يكون حرّاً بالسليقة يعني أنه وُلد راحلاً. أي أنه وجد نفسه في واقع يقع خارج البيت؛ خارج القمقم الذي تستبسل السلطات اليوم كي تحشره فيه؛ خارج الحظيرة التي تحاول السلطات، بسلطان القوانين الوضعيّة، أن تعيده إليها بالقوّة، متجاهلةً القوانين الطبيعية التي ما زالت تسري في شرايين هذا المخلوق، المفتون باستعمال قدميه».

حوار

باكورتها عن مسار طفلة من بيروت الحرب الأهلية إلى باريس المنفى

ديما العبدالله: روايتي تحية للأب ونشيد للحبّ

منتظرة أباها «العملاق» في ملعب المدرسة ليمسك بإصبع واحدة بيدها الصغيرة، ويأخذها بعيداً عن أصدقائها الذين لا تحبهم. كثيراً لأنهم يبكون كل الوقت. فيأخذها الأب الشاعر في شوارع بيروت فترفع رأسها من وقت إلى آخر لتحدّق في وجهه وتكتشف أنه عملاق بشكل مضحك. هكذا تمسك ديما العبدالله بأيدينا أيضاً في بداية روايتها الأولى «أعشاب ضارّة» الصادرة بالفرنسية عن «دار سابين فاسبايزار». ديما العبدالله، مفاجأة روايات بداية الموسم الأدبي التي تلقاها النقاد والقرّاء الفرنسيون بكثير من الترحاب تسترد في «أعشاب ضارة» ذكريات كتلك التي في ملعب المدرسة البيروتية عام 1983. وصولاً إلى سفرها واستقرارها في باريس. ستشترك مع أبيها الشاعر والصامد على مضض على الضفة المقابلة للمتوسط في غربة النفس الشاعرة والمرهفة عن عالم يغمره العنف، ويغلّفه الجهل والتفاهة، ليدور الحديث المفترض مع الأب مثلاً حول النباتات. وكما يحضر الضوء ليغذي النبتة في رحلتها الصامتة نحو الأعلى، يحضر الأدب ليملأ الصمت الذي يغرق به الكائنان: الأب وابنته في حوار لم يوجد أو يكتمل قط. يطول انتظار الفتاة الصغيرة لعملاقها في ملعب المدرسة طيلة عمر كامل. تشعر أن تلك الإصبع تتسرب منها إلى الأبد. وبغصّة في القلب على قدر الشاعر المرهف الذي قال مرة إنه نظر من النافذة فرأى حرباً أهلية. ستكون هذه الحساسية كما حساسية الابنة قابلة للانكسار كل لحظة. لأن غربتهما عن العالم هي في المقام الأول غربة داخلية. لا دخل لها بالأماكن. لأن «عنف العالم لا يتلخّص في حرب. بل أظن أنه في كل شيء في مجتمعاتنا اليوم». الروائية اللبنانية المقيمة في باريس التي توّجت بجائزة «مرسل بالبريد» الفرنسية والمرشحة لجائزة الأدب العربي في فرنسا لعام 2020. تمثل في كتابتها نقطة التقاطع المدهشة بين شعرية محمد العبدالله (1946 ـ 2016) والصنعة الروائية المحترفة والراقية لهدى بركات. القارئة النهمة لكامو توّهمت «أن كل عمل روائي جيد. أكثر من أي خطاب فلسفي بحت. يمكن أن يبعث على التأمل. والتفكير. وإضافة إلى ذلك على الإحساس». عن باكورتها الروائية وظروف ولادتها. وثنائية الأب والابنة في اغترابهما ويأسهما الباعث على التفاؤل. والتشظي بين بلدين وغربتين. كان هذا الحوار مع «كلمات» كأول حوار لديما العبدالله مع الصحافة العربية. أرسلت إجاباتها على أسئلتنا بالفرنسية. إذ أن لغتها الأم كما يا ديها الشاعر. بدأت بالتسرب منذ رحيلها إلى باريس في عمر الثانية عشرة. لغة وإن ترددت فيها أصداء الحرب. تحفل بالشّعر. بصوت محمد العبدالله وحيداً على شرفة هي أشبه بغربته وغربتها: «إنني مستوحدٌ كقمر الصيف يا مريم. كشرفة بساهرٍ وحيد»

تقديم وحوار وترجمة **محمد ناصر الدين**

■ لماذا «أعشاب ضارّة»؟ ما هي دلالة عنوان مماثل؟

ـ الأعشاب الضارة هي تعريفاً نباتات غريبة، مختلفةٌ عن تلك التي تحيطُ بها. إنها مثلاً زهرة الخُشخاش في حقل قمح. إنها نباتات «حُرّة». وهكذا، فإن الشخصيتين الرئيسيّتين في روايتي تشعران بأنهما غريبتان بعمق عن العالم الذي يحيط بهما. يتملكهما شعور بالتغرب الشديد عن الآخرين، وأنهما بغاية الوحدة، لكنهما شخصيتان في غاية الحرية. إنهما لا تتشاركان شيئاً من المظاهر والدوغمائيات التي تحاصرهما. لأجل ذلك، هما مبعدتان عن الجماعة، كما عن الحياة المشتركة. يحيل العنوان أيضاً إلى الشّعر الذي يشغفُ الفتاة كما الأب. إنهما يتقاسمان الحديث حول علم النباتات لكي يلهجا بهذا الشّعر، ولكن أيضاً لتجنّب الحديث عن بقية الأشياء، لأنهما لا ينجحان في الخوض في هذه الأمور الأخرى. أخيراً، يحيل العنوان أيضاً إلى الطريقة التي استوحيت فيها هذا الكتاب. الفصول والذكريات شبّت فيّ مثل الأعشاب الضارة، من دون أن تطلُب رأيي فيها. لقد كتبتُ رواية مختلفة بشكل جذري عمّا أردت كتابته في البداية. لذلك، الكتابة هي دائماً مغامرة.

■ بين بيروت وباريس، وضعية طفلة وأبيها في الحرب الأهلية. هل نحن أمام رواية للحنين؟ للتمزق؟ لإلقاء التحية على الأب؟

ـ لا أظنها روايةً للحنين، مطلقاً. وبشكل أقل ليست شهادةً على الحرب. لكن الحرب هي بمثابة السياق الأفظع لتلك الشخصيّتَين. كلا، أظنّ أنها قصة حب، مع كل الشعر وأيضاً مع كل المكابدات التي تميّز قصص الحب العظيمة. مع ذلك، الرواية بأكملها هي بالتأكيد تحية للأب، ونشيد للحب. لهذا السبب بالمناسبة لم أكتب إهداءً في مقدمة الرواية إلى والدي لأن الرواية كلها في المحصلة مهداة إليه. بالتأكيد تحضر إشكالية «التمزق» لأننا أمام إشكالية المنفى. لكن أكثر من المنفى الخارجي، يتعلق الأمر بنوع من المنفى الداخلي. بطلا الرواية منفيان بعمق عن محيطهما، في بيروت كما في باريس. الأب بالمناسبة يقول في محطات عديدة: «أن نرحل ليست مسألة جغرافيا». لكن يجب أن لا ننسى أنه ضربٌ من الخيال.

■ كيف يمكننا تشريح السرد بين الابنة والأب في الرواية، من ناحية الرؤية إلى الوجود والأشياء، ومن حيث شكل هذا السرد؟

ـ تحمل الشخصيتان الساردتان في النهاية رؤية متشابهة للعالم. إنهما عاجزتان عن التكيّف في المجتمع حيث تعيشان، سواء في باريس أم في بيروت. لكنهما في الوقت نفسه تحملان رؤية غاية في الشعرية وفي منتهى الجمال حول الحياة. إنهما على ما أعتقد، على قدر كبير من التفاؤلية، من الحلم، من اليوتوبيا. لأجل ذلك، يبلغ اليأس مبلغه فيهما. لأن رغبتهما في المعنى والشعر تتكسّر في مواجهة الجدران السميكة لمجتمع عنيف ومتخلّف. أظنّ أنّ كثيرين ممن أسميهم «اليائسين» هم في الواقع متفائلون كباراً. أما بالنسبة إلى السرد، فيتناوب صوت الأب وصوت الابنة بشكل منتظم من أجل بناء الحوار. هذا الحوار الشهير الذي لم يحصل بينهما أبداً. بهذا المعنى، يحضر الأدب هنا ليملأ هذا الفراغ وليقوّل أحدهما الآخر ما لم يقله قط.

> تحضر إشكالية «التمزّق» لأننا أمام إشكالية المنفى. لكن أكثر من المنفى الخارجي، يتعلق الأمر بنوع من المنفى الداخلي

■ في الفصل الأول من الرواية انتظار للأب «العملاق» في ملعب المدرسة، هل استمر الانتظار على طول حياة بأسرها؟

ـ نعم، تماماً. على طول حياتها، تعاني البطلة بعمق من هذا الفقد الطويل للأب، هذا الفقد الذي يستمر إلى ما لا نهاية. أظن أنه في الفصل الأول، تعرف الطفلة سلفاً أنها تفقد أباها، الذي يفلت من يديها ويأخذ بالتسرّب بشكل ما. إنها فتاة حساسة للغاية على ما أظن، وهي تشعر أن هذا الرجُل الحر، الشاعر، المرهف لن ينجح في أن يصمد، لن ينجح في أن لا يهوي، أن لا يتحطم، نظراً إلى السياق المحيط الذي هو في قمة العنف ولا يشبهه في شيء. إنها تفقده في كل يوم أكثر قليلاً.

■ كيف تظهر بيروت في الرواية، وباريس؟ هل نحن أمام الشرخ الكبير بين الشرق والغرب، أم هي ببساطة قصة عائلة موزّعة بين قارتين؟

ـ بيروت هي الديكور الخلفي في القسم الأول من الرواية، بينما تبرز باريس بشكل أكبر في القسم الثاني. القسم الأول تدور أحداثه في قلب الحرب الأهلية، نحن إذن في حالة طوارئ. الإيقاع، المتسارع بأطراد في هذا القسم الأول، سيُستبدل بإيقاع أبطأ في القسم الثاني الذي هو نوعاً ما «خرائب» ما بعد الحرب، أي أننا نوعاً ما في التبِعات. لكن المنفى الداخلي لشخصياتي لا يتغير في العمق بحسب المكان التي تتواجد فيه. في باريس، الابنة هي أيضاً منفية، وعرضة للمعاناة كما كان حالها في بيروت. كلا، لا أظن أن الرواية تعالج الشرخ في ثنائية شرق-غرب.

■ تتحدّرين من بيت أدبي كبير، أنت ابنة الشاعر الكبير الراحل محمد العبدالله، والروائية الكبيرة هدى بركات. هل يثقل الأمر على كتابتك، وهل من الضرورة بالمعنى الفرويدي قتل الأب في الكتابة (أو الأم)؟

ـ كلا، لا أظن أبداً أنه ينبغي أدبياً «قتل» الأب أو الأم. لقد كنت محظوظة في أن أكبر في كنف والدَين بمنتهى الحرية والحساسية وبخاصة المحبة التي قابلاني بها. لقد غمرني حبُّ هذين الأديبَين وأظنُّ أنهما قد نقلا لي حب الأدب والتعبير. أشعرُ أنني في منتهى الحرية في كتابتي. أقدّر بشدة نتاج كلّ منهما، لكني لا أظن أنّ ذلك «يسحقني» بأيّ شكل. إنهما مصدر إلهام بالنسبة إليّ أكثر من كونهما كابحاً.

■ ما هي الرسالة المركزية لـ «أعشاب ضارّة»؟

ـ الرسالة المركزية للرواية يصعب تلخيصها في جملة ولكن أعتقد أننا أمام خطّين موجِّهَين: أولاً، إنها رسالة حب. الشخصيتان تتحابان بحب مدهش، حتى لو قصرتا عن التعبير. التواطؤ السري بين هذين الاثنين هو من الصمت المطبق بحيث إن الأدب يحضر ليكسر هذا الصمت عبر الحوار بينهما من فصل في الرواية لآخر. ثانياً، هو كتاب حول المنفى الداخلي: هذا العجز عن التكيّف مع عالم مدجّن، عالم عنيف حيث هما خارج المكان وحيث لا يتعرفان إلى ذاتيهما فيه. وهنا لا يتعلق الأمر ببيروت فقط. الحرب هي السياق المجنون الذي يفاقم حتى الذروة إحساس المنفى لديهما، ومكابدتهما في العيش غارقين حتى عنقهما في المُيهَم. لكن مرة أخرى، أظن أن عنف العالم لا يتلخص في حرب، بل أظن أنه في كل شيء في مجتمعاتنا اليوم. يمكننا أن نعيش في بلد يسوده السلام، ومع ذلك نشعر بالغربة عما يحيط بنا.

ديما العبدالله: لقد كنت محظوظة في أن أكبر في كنف والدَين بمنتهى الحرية والحساسية وبخاصة المحبة التي قابلاني بها.

■ كيف تمت كتابة «أعشاب ضارّة»، حدثينا عن المختبر الداخلي للكتابة، وما الذي جعلها رواية ناجحة أستقبلها النقاد والقراء في فرنسا بحماسة كبيرة؟

ـ كما أسلفت للتوّ، لقد نبتت هذه الرواية حيث لم أتوقع البتّة. لقد كنت دائماً أكتب ولكني لم أفكّر بكتابة هذه الرواية. لقد فرضت وجودها عليّ وأنا في نفسي مندهشة من كل ما يرد في طيّاتها. أما في ما يتعلق بسرّ نجاحها، فلا أمتلك أدنى فكرة. الثناء الأجمل هو الذي يرد من قِبل القرّاء، كأن يقال لي مثلاً إن هذه الرواية تحمل شيئاً كونياً، وإنها تخاطب الجميع، وإنها ليست حصراً قصة لبنان، والحرب الأهلية والمنفى الجغرافي. أحب أيضاً حساسية القراء للشّعرية الموجودة فيها.

■ ماذا عن تتويجها بجائزة «المرسل بالبريد»؟

ـ أنا بداهةً سعيدة جداً وفخورة بتلقي هذه الجائزة. ليس من أجل «المجد» المتحصل عن التتويج بجائزة، بل من أجل الرضى برؤية نصّي متجهاً ليعيش حياته الخاصة وأن يلمس روح القرّاء.

■ هل أنت روائية لبنانية منفية في فرنسا، أم روائية فرنسية من أصول لبنانية؟ وهل يمكننا بسهولة تحديد مكونات ثابتة لهوياتنا في عالم شديد التغير؟

ـ أشعر بعمق أنني لبنانية ولكنها علاقة مؤلمة تلك التي تربطني بالبلاد. وأما بالنسبة إلى المنفى، فأنا كما قلت لك منفية في العاصمتين. شخصية سائدرين في الرواية تقول هذا الشيء: المنفى ليس مسألة عبور للحدود.

■ هل من نية لترجمة «أعشاب ضارّة» إلى العربية؟ وهل هي في الأساس موجّهة إلى قارئ فرنسي أو عربي/ لبناني؟

ـ بلى، ستُترجم الرواية إلى العربية وأنا مبتهجة لهذا الأمر. أتحدث عن علاقتي المعقّدة بلغتي الأمّ في قلب الرواية. بالنسبة إلى القارئ الذي أتوجه إليه: ليس هو اللبناني أو الفرنسي. لم أكتب الكتاب وفي نيتي التوجه إلى أحد، وأظنه بالأمر الجيّد. أظن أنها ليست بالإشارة الحميدة حين نشرع بالتوجه إلى قارئ معيّن.

■ ما صحة شغفك بقراءة أعمال ألبير كامو؟ وهل كل كتابة روائية ناجحة لا بد من أن تستند إلى خلفية فلسفية متينة؟ ماذا تقرئين إلى جانب كامو؟

ـ تماماً، يمسّني كامو بعمق في استقامته، ورزانته، وبراعته وتحرره، وأيضاً في موهبته. بالمناسبة، يحضر سيزيف بقوة في الرواية. بلى، أظن أن كل عمل روائي جيد، أكثر من أي خطاب فلسفي بحت، يمكن أن يبعث على التأمل، والتفكير، وإضافة إلى ذلك على الإحساس. قراءاتي متشعّبة، ولا أحب أن أدخل في الاختيارات ولكني أحب صورة نقيض البطل في الأدب الجيّد.

■ ماذا بعد «أعشاب ضارّة»؟

ـ بعد «أعشاب ضارّة»، سأستمر في الكتابة كما كان دأبي دائماً، ولكن سأكون أكثر غنى عبر هذه التجربة وعبر هذا اللقاء مع القراء. إذن لن أتوقف هنا، هذا مؤكد.

■ حين يحضر أمامك انفجار المرفأ، ونستحضر معاً قصائد محمد العبدالله في رثاء الأرض المحروقة في الخيام والقرى المدمّرة بالحروب والاجتياحات، هل من وردة للأمل في هذا الهشيم؟

ـ ما يحصل في البلد كارثي بكل ما للكلمة من معنى ويمسّني من أقرب مسافة. هذه الأرض هي التي جعلتني أبصر النور وأكبر حتى أعوامي الاثني عشر والبلد الذي أعود إليه غالباً. كما قلت لك، أنا فاقدة للأمل، إذن أنا متفائلة أزلية. لكني أقول إن البلد للأسف، سيعوزه وقت طويل لينهض، وهذا ما يحزنني بعمق.

بيروت 1983 *

يد العملاق كانت ضخمة للغاية بحيث إنّ إصبعاً واحدة تكفيني. دائماً ما يمدّ لي بإصبعه بدل أن يمسكني من يدي. أحس بسماكة كل مفصل تحت راحتي التي تشد بقوة. حين يهرب مني الخنصر، يمد لي بالسبابة. أمشي وأنا أترنح قليلاً، إذ يصعب عادةً بالنسبة إليّ أن أمشي بالإيقاع المناسب. أعرف أنه يعرف تماماً إلى أين الذهاب. إذن أتبعه بعناء، متعلقةً كما أقدر بالإصبع، بإيقاع سريع للغاية لرجليّ الصغيرتين وفي بقعة غاية في الساحة والفوضى أكبر من أن تألفها عيناي الصغيرتان. على طول قامتي، لم يكن إلا رفاقي يضجّون ويلتصق بعضهم ببعض من حولنا. لا أحب رفاقي كثيراً، بخاصة حين يبكون. ولا أحب حين يكون الكثير من الناس والكثير من الضوضاء. أنا، لستُ خائفة جداً، نظراً إلى أني مع عملاقي. لقد قررتُ أنه في ظروف كهذه، كان يجب أن أمحضه ثقتي. إنه قوي وذكيٌّ جداً كذلك. حين تنسلّ مني الإصبع، أتمسك بشدة بطرف من قماش البنطال الذي يغذي الفخذ الضخمة. عندها يتوقف ويمد لي بيده من جديد. الخنصر، أو السبابة. يقول لي أحياناً أشياء أعجز عن سماعها، إذن لا أجيبه، لكن لا بأس، إذ سنتكلم لاحقاً. أكتفي بأن أتعلّق بيده. أبقى بكامل تركيزي بخاصة لئلا أفلتها. أضغط بقوة على هذه الإصبع، أعرف أن الأمر مهم. أرفع أحياناً برأسي لأحدّق في وجهه، وأسر في نفسي في كل مرة أنه كبير بشكل مضحك.

* مقطع من رواية «أعشاب ضارة»

ما قيل عنها في الصحافة الفرنسية

* «تكتب ديما العبدالله بالفرنسية، اللغة التي تعلمتها صغيرة في بيروت في مدرسة مزدوجة اللسان. حين وصلت إلى باريس بعمر الثانية عشرة، مع أخيها ووالدتها الروائية هدى بركات، شعرت بأن لغتها الأم تتلاشى: «كنت أفتح القاموس أكثر فأكثر، وأقفز من فوق أسطر، وكلمات وصفحات بأكملها. إنه منفى، في نهاية السفر». لغة الأب والشعر التي تنسج معها علاقة شغف، تتردد في العربية أصداء لفظاعات الحرب. (صحيفة humanité).

* «برئاسة أوليفييه بوافر دارفور، اختارت رئاسة لجنة «مرسل بالبريد» 2020 ديما العبدالله، الاثنين في 24 أغسطس (آب) عن روايتها الأولى «أعشاب ضارة» التي ستصدر في 27 أغسطس عن دار فاسبيزار». (موقع livreshebdo.fr)

* مولودة في لبنان عام 1977، تتذكر ديما العبدالله بأنها كانت تعوم في «بحر أدبي». كانت تضع مسودات لنصوص حتى اكتشفت في أحد الأيام أنها تحمل رواية في داخلها. حكاية طفلة وُلدت مثلها في بيروت وجاءت إلى باريس بعدما قاست أهوال الحرب. إنها تروي حكاية حبّ بين أب وابنته. كائنان منفيان ومثقلان بالصمت والحياء. «إن كنت قد استلهمت تاريخي الشخصي، فليس في نيّة كتابة نوع من الخيال الذاتي»، تقول الكاتبة. «لم أكتب الرواية بشكل خاص بغرض النشر، ولكن خلال ثمانية أشهر، كانت هنا واعترتني رغبة في أن يطّلع عليها بعض المعنيين». أرسلَت الكاتبة الشابة الرواية بالبريد إلى دور نشر ضمن دائرة اهتمامها ليأتي الرد سريعاً من سابين فاسبيزار «لقد أحببت النص ورغبت مباشرة في العمل معها». ديما العبدالله التي تصرح بأنها متفاجئة للغاية هي في عجلة من أمرها كي تلتقي الرواية بقرّائها. (صحيفة Leparisien)

* سبع روايات مرشّحة لجائزة الأدب العربي لعام 2020، وهي الجائزة الفرنسية الوحيدة التي تثمّن الأدب العربي منذ عام 2013 عن رواية لكاتب يتحدر من بلد عربي وكتبَت أو ترجمت للفرنسية بين الأول من أيلول (سبتمبر) 2019 و31 آب (أغسطس) 2020. والروايات السبع هي:

1- «أعشاب ضارة» لديما العبدالله (لبنان)، دار سابين فاسبيزار.

2- «الجنقو» لعبد العزيز بركة ساكن (السودان)، دار zulma.

3- «اللغة الملعونة»، لمهدي بيليم (المغرب)، دار plon.

4- «ضيف أسرة ميديسيس» لكارول داغر (لبنان)، منشورات فيليب راي.

5- «لا تناد، ما من أحد» ليوسف فاضل (المغرب)، أكت سود.

6- «مغطس في الصحراء»، لجاد هلال (فلسطين)، Elyzade.

7- «السوري الأخير» لعمر يوسف سليمان (سوري)، فلاماريون (موقع actualitté.fr)

ترجمة

كارمن نارانهو: وبعنا المطر

ترجمة محمد منصور

«يا لها من مصيبة داعرة!» كان ذلك ما علّق به وزير الخزينة، منذ أيّام قليلة، حين ترجّل من سيارة الجيب بعدما قطع مسافة سبعين كيلومتراً فوق طريق انتشر فيها الغبار والرطوبة بكثافة. وافقه الرأي كبير مستشاريه، إذ لم يتبقَّ في الخزينة فلس واحد. والطابور حول مؤسّسات صيرفة العملات الأجنبيّة يلتفّ أربع مرّات حول محيط المدينة. يؤكّد صندوق النقد الدولي بعناد: «لا قروض قبل استيفاء الفوائد، وتخفيض النفقات العامة، تجميد الأجور، زيادة الإنتاج وتقليص الاستيراد، ثمّ وقف دعم السلع الأساسيّة وبرامج المعونات الاجتماعيّة».

والطبقات الفقيرة تصرخ: «لم نعد نستطيع شراء الفاصولياء حتّى، فأصبحنا نعتاش من أوراق الفجل، البلانتين [1]، والقمامة. وقد زادت الحكومة فاتورة المياه التي لا تصل الى المنازل أصلًا، على الرغم من هطول الأمطار يوميّاً؛ فهم زادوا التعرفة وأضافوا إليها رسم «زيادة استهلاك» عن العام المنصرم، مع أنّ الماء لم يصل إلى المواسير حينها أيضاً».

«أليس في هذا البلد مَن يمتلك فكرة لعينة لحلّ كلّ تلك المشاكل!؟»

تساءل رئيس الجمهورية الذي صرّح قبيل موعد الانتخابات بأنّه المرشّح الأفضل، نظراً إلى ثقافته الجامعيّة - وهو الحاصل على دكتوراه في التنمية المستدامة - مطلقاً ابتسامته الواثقة والمعقّدة، ومرتدياً آخر صيحات الموضة. اقترح أحدهم الصلاة لـ«السيّدة السمراء»، والتماس مغفرتها. ففعل ذلك والنتيجة، لا شيء. البعض الآخر اقترح إعادة تنصيب «عذراء أوهـارّاس». لكن بعد سنوات من الإهمال، أصبحت العذراء الحسناء صمّاء، ولم تعد تسمع أدعية من أيٍّ كان، على الرغم من أنّ مجلس الوزراء مجتمعاً أطلق، وبأعلى الصوت، دعوته لها لكي تنير الطريق نحو غد أفضل.

لم يعد ممكناً التستّر على الجوع والفقر: أناس بلا مأوى، ليس في جيوبهم فلسٌ واحدٌ، يفترشون العراء في الحديقة المركزيّة، في المنتزه الوطني، في ساحة الثقافة، في الجادة الرئيسَة والجادة الثانية؛ أحزمة البؤس أخذت تنمو على أطراف المدينة، وباتت مجموعاتٌ من سكّان العشوائيات تهدّد باقتحام المسرح الوطني، والبنك المركزي، وكلّ مقارّ المصارف المؤمّمة. بدأت هيئة الضمان الاجتماعي بتوزيع إعاشات من الأرزّ والفاصولياء، كأنّها تصرف وصفةً طبّيّة لدواء. صارت معدّلات السرقة في الأسواق سرقةً في كلّ ثانية، والسطو على المنازل سطواً كلّ نصف ساعة. الأعمال القذرة بدأت تغزو المؤسّسات الخاصة والعامة على حدّ سواء. المخدّرات انتشرت بلا وازع. جرى تشريع لعبة الروليت، قمار البلاك جاك والزهر، من أجل غسل أموال الدولار وجذب السيّاح. الأمر المثير للفضول كان انخفاض أسعار الويسكي والكافيار، وكماليّات ثمينة أخرى.

كان بحر الفقر يتمدّد، فتشاهده في المدن كما في الضيع، على الطرقات الرئيسة وفي الممرّات، يتناقض مع تزايد أعداد المرسيدس والبي إم دبليو والسيفيك، وأبجديّة كاملة من ماركات أفخم السيّارات وأحدثها.

صرّح الوزير أمام الإعلام بأن البلاد تقف على حافة الإفلاس؛ فشركات الطيران توقّفت عن إصدار بطاقات السفر بسبب الديون المستحقّة لها، وأصبح السفر مستحيلاً، إذ استنفدت ميزانية بدلات السفر: هل من الممكن تخيّل معاناة موظفي الدولة؟ هنا محبوسون، لا يستطيعون السفر، ولو لمرّة واحدة شهرياً - على الأقلّ - إلى المدن الكبرى. قد يكون وضع ميزانيّة استثنائية هو الحلّ. لكن، لم يتمّ العثور على طريقة لزيادة الإيرادات، إلّا إذا كان الشعب متفهّماً، وتقبّل فكرة الرئيس الفذّة بفرض ضريبة على الهواء: ضريبة بسيطة، بما أنّ الهواء من ممتلكات الدولة... عشرة قروش لكلّ نفَس.

حلّ شهر تموز. وذات ظهيرة، رأى وزير بلا حقيبة - وبلا مظلّة - هطول المطر، والناس يتراكضون. نعم، إنّها تمطر هنا كما تمطر في كومالا، كما في ماكوندو [2]. تمطر ليلاً ونهاراً، مطراً وراءه مطر، كما لو كان عرضاً سينمائياً متواصلاً يكرّر المشهد عينه: ستائر من الماء تهطل والناس المساكين بلا مظلّات، لا يستطيعون تغيير ملابسهم المبلّلة كالمنازل المثقلة بالمياه، وهم بلا أحذية يبدّلون بها أحذيتهم التي تنهار. كما رأى الوزير بلا حقيبة الوزراء الزملاء يرتجفون من البرد، أعضاء البرلمان وقد بُحّت أصواتهم، سعال الرئيس الذي يُقلق كثيراً... كل ذلك مضافاً إلى الكارثة عينها: لا توجد محطّة تلفزيونيّة واحدة قادرة على البثّ، فالفيضان غمرها جميعاً. والأمر ذاته حصل مع الصحف ومحطّات الإذاعة؛ شعب بلا أخبار هو شعب تائه، لأنّ الناس لا يعلمون بما يحصل في كلّ مناطق الوطن تقريباً، وتصير الأمور أسوأ. فقط لو نستطيع تصدير المطر، فكّر الوزير.

الناس، في هذه الأحوال - مع غزارة المطر، والرطوبة، وغياب الأخبار، والبرد، والمعاناة والجوع، وبلا مسلسلات تلفزيونيّة - بدأوا يتقطّرون إلى الداخل، وأخذوا يزيدون أعداد الأطفال المواليد، على أمل أن يتمكّن بعضهم من النجاة والبقاء على قيد الحياة. كتلة من الأطفال، عراة وجائعين، بدأت بالبكاء من دون هوادة على وقع كلّ هطلٍ جديد.

عندما تمّ أخيراً، إصلاح إحدى محطات البثّ، استطاع الرئيس إذاعة رسالة، مفادها أنّه ورث بلداً غارقاً في الديون إلى درجة لن تمكّنه من الحصول على أيّ قروض جديدة. وأنّه اكتشف حقيقة عجز البلد عن دفع الفوائد على القروض القديمة، ناهيك بالقدرة على تسديدها. وأنّه سرّح موظفي القطاع العام، كما أُجبر على تجميد كلّ المشاريع العامة والخدمات، وإقفال مكاتب الدولة، وفتح الفخذين أكثر - بطريقة ما - أمام الشركات المتعدّدة الجنسيّات وشركات التصدير؛ وصرّح أنّ البقرات المحليّات الناحلات تحتضر، وأنّ البقرات السمينات آتيات في الطريق. كما نصح وشجّع صندوق النقد، والوكالة الأميركيّة للتنمية، وبنك التنمية الدولي، وفي أفضل الأحوال السوق الأوروبيّة المشتركة بدورها؛ ذلك أنّ الخطر الأكبر، وبلا أدنى شكّ، يكمن في احتمال التهام الدولة المجاورة البقراتِ السميناتِ أثناء عبورها أراضيها - بعد أن تصل البقرات جوّاً، على ارتفاع تسعة آلاف متر، في إصطبل درجة أولى مكيّف الهواء - إذ أنّ هؤلاء الجيران كانوا وما زالوا خطيرين جداً.

الحقيقة هي أنّ الحكومة قد تلاشت من ذاكرة الشعب، وأحدٌ لم يعد يتذكّر اسم الرئيس أو أسماء وزرائه؛ فالناس يتذكرون أنّه «ذلك الذي يعتقد أنّه والدة طرزان، ويرتدي نظّارات طبية»، أو «الذي يبدو كخنزير صغير مهضوم أُهدي إليّ في أوقات سعيدة مضت، لكنّه أقبح بقليل».

والحلّ أتى من حيث لم يتوقعه أحد. قامت الدولة بتنظيم مسابقة عالمثالثيّة لانتخاب «ملكة جمال التخلّف التنمويّ». ومن بين هزيلات، قاتمات، ذوات أكتاف مكوّرة وسيقان قصيرة، نصف صلعاوات، بابتسامات ينخرها السوس، وبغباء وكوارث أخرى، وبطبيعة الحال أرسلت إمارةُ الأمراء الثريّة مرشّحتها التي ذُهلت من غزارة المطر... المطر! وبأسلوب ليوناردو فابيو [3]، فغرت عينيها الكبيرتين وسع السماوات. فازت بالإجماع، وتُوّجت ملكة لـ«التخلف التنموي»، وقد استحقّت الفوز بالتأكيد، فلم تكن تفتقد أيّاً من أسنانها الأمامية أو الأضراس. وعادت على وجه السرعة إلى إمارة الأمراء، بعدما أصيبت بفيروس الفطريات الذي انتشر بين أصابع إحدى القدمين، واليدين، وخلف أذنيها، وفوق خدّها الأيسر.

«أوه يا والدي السلطان، يا سيّدي، يا سيّد الأقمار والشمس، لو رأيت يا صاحب السمو وسيّد الجزيرة العربيّة، كيف تمطر وتمطر في ذلك البلد، أقسم بأنّك لن تصدّق. تمطر ليلَ نهارَ. كلّ شيء أخضر، حتّى الناس لونهم أخضر، أبرياء وسذّج، حتّى إنّهم لا يفكّرون ببيع أهم ثرواتهم: المطر؛ المساكين يفكّرون بالقهوة، بالأرزّ، بقصب السكّر، بالخضار، بالأخشاب، بينما يملكون كنوز علي بابا بين أيديهم ولا يبيعونها. كم ندفع من أجل الحصول على مثل ذلك المطر؟».

تركها السلطان أبون دال طول تكمل حديثها، لتكرّر على مسامعه كيف يهطل المطر من الشروق إلى الغروب، ثمّ يستمر بالهطول من الغروب إلى الشروق، على مدى أشهر متتالية. ولم يكلّ من سماع الحديث عن بقاء البلاد خضراء دوماً، بينما تعاود الاخضرار مجدّداً؛ أحبّ أن يشمل عرض شراء المطر ذاك الذي يُدعى ليوناردو فابيو.

وصل إلى مكتب وزير الصادرات اتّصال هاتفيّ دُوليّ من إمارة الأمراء، لكنّ الوزير لم يكن موجوداً. كاد وجه وزير العلاقات الخارجيّة أن يضيء حين مدّه السلطان بشحنة إنارة داخليّة وعرض عليه شراء المطر، وإنشاء قناة مائيّة من هناك إلى هنا، لإخصاب الصحراء. مكالمة أخرى، «آلو، هل أتكلّم مع بلد المطر؟ ليس مطر الماريجوانا أو الكوكايين، ولا مطر تبييض الدولارات، بل المطر الطبيعي الذي يهطل من السماء ويخضّر الرمال؟ - نعم، نعم، إنّك تتحدث الى وزير التصدير في ذلك البلد ونحن مستعدّون لبيع المطر، ليس هناك أيّ عائق، فإنتاج المطر لا يكلّفنا شيئاً، إنّه مورد طبيعي مثل نفطكم، سنعدّ عقداً جيّداً وعادلاً».

احتلّ الخبر خمسة أعمدة صحافيّة في موسم الجفاف - وقد تمكنّا من التغلّب على مشاكل الفيضانات والرطوبة - حيث أعلن الرئيس بنفسه: «بعنا المطر بعشرة دولارات لكلّ سنتيمتر مكعّب، وسيعاد النظر في السعر كلّ عشرة أعوام وكمّية البيع غير محدودة، وسوف نوفي ممّا نكسبه كلّ قروضنا، والفوائد، وسنستعيد استقلالنا وكرامتنا».

ابتسم الشعب، فبيعُ القليل من المطر سيكون جيّداً للجميع، ثمّ إنّنا سنتمكّن من تجنّب التعامل مع البقرات السبع السمينات الثقيلات. سوف نتحرّر من كلّ ضغوطات الصندوق، والبنك العالمي، ووكالة التنمية الأميركية، والسفارة، وبنك التنمية الدولي، وربّما السوق الأوروبيّة المشتركة، لاستقبال البقرات التي تحلّق على ارتفاع تسعة آلاف متر، في الكابينة المكيّفة واصطبل الدرجة الأولى، ناهيك بخطر احتمال سرقتها لدى عبورها الدولة المجاورة. كما أنّه ليس هناك أيّ ضمانات بأن تصل إلينا سمينات، وفاتورة استلامها تتضمّن زيادة كلّ أنواع الضرائب، وخصوصاً على مواد الاستهلاك الأساسية، وإزالة كلّ القيود على الاستيراد، وفتح السيقان على وسعها أمام المتعدّدة الجنسيّات، ودفع الفوائد التي ارتفعت بعض الشيء، وسداد الديون التي تضاعفت بوتيرة تشبه فقط وتيرة انتشار الأوبئة. ولكي يزداد الطين بلّة، سيتوجّب علينا إعادة تشكيل الحكومة حيث يرى أعضاء في البرلمان أنّ بعض الوزراء فيها خطيرون ومتطرّفون.

أضاف الرئيس بسعادة ساذجة وابتسامات مبالغ فيها، أنّ تقنيين فرنسيين - ممثّلي الجدارة الأوروبية - سيقومون ببناء الأقماع اللازمة لتجميع المطر من السماء، وأقنية المياه، كضمان للأمانة في صرف الأموال، والكفاءة، وانتقال الخبرات التكنولوجيّة.

بحلول ذلك الوقت، كنا قد بعنا بطريقة مضرّة بمصالحنا، ثروة أسماك الطون، والدلافين، والقبّة الحراريّة. كما بعنا الغابات وكنوز آثار السكّان الأصليين. إضافة إلى مواهبنا، وكرامتنا، وسيادتنا وحقّنا بالتجارة بكلّ ما يصنّف غير قانوني.

تمّ بناء القمع الأوّل على شاطئ الأطلنطي، والذي بدا، بعد بضعة أشهر، أكثر جفافاً من شاطئ الهادئ. وصلت أوّل دفعة من إمارة الأمراء بالدولار! واحتفل البلد بأسبوع كامل من الإجازات. يحتاج الأمر إلى مزيد من الجهد. تمّ بناء قمع في الشمال، وآخر في الجنوب. جفّت كلتا المنطقتين بسرعة كما لو كانتا حبّتي زبيب. لم تصل الدفعات التالية. ماذا حصل؟ صادرها الصندوق لاستيفاء مدفوعات الفوائد.

جهد آخر: بناء قمع في الوسط، حيث كانت - في السابق - تمطر وتمطر. والآن حُرمت المنطقة من المطر بالكامل، ما أدّى إلى شلل في الأدمغة، وتغيير في السلوك، وتبدّل في المناخ، واشتعال أوراق الذرة، ودمار موسم القهوة، وتسميم النكهات، وفناء زراعة الحبوب، وجفاف النخيل، وتدمير أشجار الفاكهة، وتجريف الخضراوات، وتغيير في ميزات الفصائل؛ فأصبح الناس يشبهون الجرذان، والنمل، والصراصير، الحيوانات الوحيدة التي بقيت بأعداد وفيرة.

وكي نتذكّر كيف كنّا، أخذنا نتناول من يد إلى يد، صوراً لواحات شاسعة مزروعة بنباتات متنوّعة، لحدائق، ومحميات لفصائل من الحيوانات تروم فيها الفراشات وأنواع كثيرة من الطيور، وقد كتب في أسفل الصور: «تعالوا لزيارتنا في فردوس إمارة الأمراء».

أوّل المستجيبين للمغامرة كان سبّاحاً ماهراً، والذي حمل كميّة احتياطية من الطعام وبعض الأدوية. ثمّ لحقت به عائلة بكل أفرادها. بعد ذلك هاجرت قرى بأكملها، صغيرة وكبيرة. تناقصت أعداد السكّان بشكل كبير، إلى أن أطلّ يوم لم يتبقّ فيه أحد، باستثناء الرئيس وحكومته. كل الآخرين، بمن فيهم نوّاب الأمّة، سلكوا درب النزوح بفتح غطاء الأقنية المائية والتخلّي عن كلّ شيء، حتّى يصلوا إلى الطرف الآخر للأقنية في إمارة الأمراء.

بتنا في ذلك البلد مواطنين من الدرجة الثانية، وذلك شيء كنّا قد اعتدنا عليه. عشنا في غيتو، عثرنا على عمل بسبب خبرتنا في زراعة القهوة، وقصب السكر، والقطن، الفاكهة والخضار. في فترة وجيزة أصبحنا سعداء وشعرنا بأنّ كلّ تلك المحاصيل هي ملك لنا أيضاً: فعلى الأقلّ، المياه التي روت تلك المحاصيل هي من أمطارنا.

سنوات عديدة مرّت، وسعر النفط بدأ بالتراجع والتراجع. طلبت الإمارة قرضاً، ثمّ آخر، ثمّ الكثير من القروض، ناشدت وطلبت المساعدة لدفع ديونها. تبدو القصة معروفة؛ الآن يصادر الصندوق أقنية المياه، يقطع الماء عنّا بسبب تخلّفنا عن الدفع، ولأنّ فكرة لمعت في رأس السلطان أبون دال طول: أن يستقبل، كضيف شرف، ممثّلاً عن الدولة الجارة لنا.

* كارمن نارانهو (1928 ـ 2012) ولدت في قرطاهو في كوستاريكا سنة 1928، وتوفيت سنة 2012. هي شاعرة وروائية وكاتبة مقال وقصة قصيرة. شغلت مناصب حكومية عدة في وزارات الثقافة، والشؤون الاجتماعية والشباب، والضمان الاجتماعي. من أبرز رواياتها: «جواب إلى الطفل خوان مانويل» (1971)، «الكلاب لم تعو» (1966)، «اليوم هو يوم طويل» (1974)، إلى جانب مجموعات قصصية من بينها «الطريق إلى الرومبا» (1989) التي اختيرت منها القصّة أعلاه.

المراجع

1-بلاتانو: فاكهة من فصيلة الموز يكثر استعمالها في إعداد الطعام في مناطق أميركا الوسطى.
2-ماكوندو: المدينة الخيالية في روايات غابرييل غارسيا ماركيز.
3-ليوناردو فابيو: مغنٍّ وممثّل ومخرج سينمائي أرجنتيني مشهور.

قصائد

فينيق الفواجع

عبير خليفة *

1- بريّة

أوّل ما أفقدُهُ حماستي
كشاعرة أنفقتُ كلّ النداءات
في قصيدة
ولم يجبْها أحد.

تحوّلتُ للعنة
كلمة ككتفَي حبيب
حجبتْ سهلَ الفرص المُضاء

قلْنَ: هذه الفتاة بريّة
بسبب العقْد الداكن في أصابعها
ردّدتُ وراءهنّ: أنا بريّة.

ها قدْ وسمْتُ بكلمة
تمسّكتُ بأصابعي
كقطةٍ تمْسكُ بذيل أمّها!

2- تردّد

يريدونني أنْ أتحرّك
الأرض التي تدور
الأحزان التي غادرتْ أحدهم إليّ
وشريكي في المنزل
الكلّ يحبّ أنْ يراني
وأنا أخسر أشيائي
لأنّي أحدثُ ضجّة عارمة!
أضعُ أنايَ في الخارج
فهو سبقَ وتركها
على عتبةٍ أخرى.

كأنّ لدينا ما يكفي
لإصلاح الهواء بيننا
أختنق حيناً وأنا أحافظ عليه
وأحياناً أتحرّك.

3- فرات غير شائكة

لسنا سوى مزيج نافر
أنفاسُنا مُستعارةٌ
من طفيليات الكلّ يكرهها
ومن صبّارٍ قدّمَ لنا
زفراتٍ غيرَ شائكة.

أنتَ الذي
لا أعرف عنه الكثير
أحببتكَ
لأنكَ لم تفعلْ شيئاً لأجلي.

أمّا أنا
فعالقة بين صفر وواحد
كلغةٍ ثنائيّة في حاسوب
تُفْصَلُ عنه الكهرباء
قبلَ أنْ أتحقّقَ منْ مصير الصّفر
الذي اخترته طوال حياتي.

4- آخرُ دعاء

أين أجدُ يقيناً يشبه ذاكَ الذي
يخبره أنّ ما يقوله
خيرٌ لي؟
ففي آخر دعاءٍ لي
طلبتُ من الله أنْ يفعلَ بي ما يريد
بينما أقومُ بما أحبّ خلال هذا الوقت!

5- هزْء

ما كتَبَتْهُ بخفّةٍ بادَلَها باستهزاء
بعد فاصلةٍ ما
صارتْ تكتبُ النقيض
حينَ تأكدتْ أنّ هناك منْ يصدّقها:
لنْ تكونَ خطوط يديَّ شاقّة
ستأتي الرّيحُ تُسمعني
صوت الفجر
انتهاء الليل
وسقوط شهبٍ ما
وحين أمْسي على كتفه
نختفي معاً.

الكلماتُ لا تتحلّلُ مع الوقت
لأنّ ما يُخَطُّ لا ينْقلب إلى ضدّه
تلكَ أسطورةُ شخصيّة؛
الأرضُ تتشقّق كلّما تثاءبَ حزني بصوت عالٍ
الصّدفُ معلّقة كإنارةٍ شارعٍ مُطفأة دوماً
أمْسي على كتفه
فأختفي.

ما زلتُ أشكو من غيمةٍ مُسمّمة
استولتْ شيئاً فشيئاً على رأسي
مذ نفثَ الدّخان عليّ
أحياناً تتحوّل لصخْرة
بفعلِ العناد الذي مارستُهُ
بفعلِ التزامي تجاه العزلة
أو هكذا هي الغيوم حين تُحبس في الداخل

لم ألتزم الخانةَ المخصّصة لي
قدمي اليسرى تتقدمّ لتُهاجمَ
كلماتِ التأنيب العابرة إليّ
مع ذلك
أفضّل فقْدَ التوازن على التّفريط بكلمة.

تكفيراً عن الغضب أبتاع له قميصاً
فأنا لا أنسى يومَ ميلاده
وأستمرّ طوال العام بالشّعور نحوه كما أريد.

لديّ صورة متكاملة
صورةٌ مُشبعة بالفراغ
حيث يقفُ كلّ منّا
وجهاً لوجهٍ أمامَ ضعفه.

* لبنان

تفسير آخر للوردة (*)

صفاء سالم اسكندر

«أنت معنى الكون كلّه» [النفري]

شوزو كارولين ـ «خط الوردة» (تجهيز، 2016)

أنتِ، تفسيرٌ آخر للوردة،
ثم ماذا؟
حلم يتكسر كلما اقتربت منه الطفولة
يحتضر من كلمة
ويودّ أن يموت الغيم من أغنية كالوقت، ليكن الرماد أهداب ما تبعثر في عروقكِ، هكذا رتّب الأنين حضوره، عارفاً أن الخسارات موعد الصدى
الذي لم يتجاوز ما أمهره الدمع، من حجر، وثوب، وما تأخر عن الجرح من أنفاس عميقة، ظلالها لغة فاتها المدح والنشوة، سعة ما يتمكن الضجر من حمل الغياب، يتعب به الأماكن، يجعلها تضيق كالهبة، وما تمنحه الأرض من نوادر
لكن هذا فائض ما ورثتِه من معاجم الألم، هكذا تشبهين الغسق.

■■■

الصمت لم يكن هناك، عندما تجاوز الهمس آياتكِ، الفراغ وحده من أبصر كل شيء، الفراغ الذي يعيش السكينة، يعرف الموت، والقبعات، والخوذ، والمهرجين
الذين يُتعبون الأيام بحلقاتهم النارية من أجل الحزن وحده، لكنه عالياً، فتبقى ابتساماتهم جامدة، وكأن عضلاتهم حجر، هذا ما يوقد النار، ما يُبقي الرماد في القلوب، تذكار جيد لمن يشتهي الرحيل دون تلف.

■■■

الصمت الذي يعيش الخوف من عريكِ، يخاف أن يبلّله الظلام أكثر.

■■■

هذه الخطوات
هذا الحبر من اليقين
احتفاء إلهي بالعجب الذي لم يكن معجزة، وإن قيل عنه معجزة.

■■■

العلامة الفارقة، أنكِ مألوفة في السماء، مجهولة في الأرض، أزيزُ النحل يشار إليه أكثر منكِ، وأنتِ كلغةٍ أولى للفجر، تعرفكِ الصحراء بداية للضوء المدعو أن ينزل كالدموع على ترابها.

■■■

الغناء الذي هو ملامح الغائب، وتفاصيل ذاكرة، ينمو من خيال صعب، خيال وردة، الوردة كفكرة كونية، معنية بتفاصيلك أكثر، هي تعرف أن الارتباط بينكما غير مجهول.

■■■

ليس هذا بيتاً للأبد
عندما تعرف أن الوردة ترحل بلا «وداعاً»
بل تذبل
هذا النعي لغة مجهولة، تتمزق بالرثّ من قسوتنا البسيطة
هذا العمر الجمالي الصغير، سليطٌ في معناه،
ثم ماذا؟
هل عرف الشاعر ذلك
حتى وإن عرف
هل أشار إلى ظلال الذهب
المتروك من ذبول الوردة، من مصرعها مع المزاجات الزمنية هذه القوة، تجعلها تبقى حتى وهي ميتة، وفكرة رحيلها مجاز، وفكرة حضورها مجاز أكبر.

■■■

الوردة بلاغة اليقين
ومسيح النباتات

■■■

ما وزن الوردة؟
البراءة، الهواء، العشق، والدموع
أم قبلات الغائب؟

■■■

المفارقة، أنكِ الآن تبحثين عن الوحدة، في غرفة مليئة بكتب الشعر، لا أعرف كيف صدقتِ ذلك.

■■■

الشعر، بكاء ذو نشوة، يتشابه والوردة.

■■■

المرآة التي عكست الوردة، ظلت حزينة.

■■■

أنا ذاهب إلى المنزل، لأثقل الغرف بحضوري، لأثقل الوحدة أيضاً، الغرف التي لم تعرف يوماً ما الوردة، ظلت مكاناً لا يرى الفجر، ظل وكأنه مستحيل، النوافذ كانت تعرف ذلك، لكنها لم تتعرّ يوماً، مفقودة الجهات من الهلع، من التورط بالظلام كل هذه المدة، ولها غلظة الأشباح، وعبوس الجدات، ولأن لا أحد يؤرخ للبيوت المهجورة مثل الجرذان، أثقلت الغبار بخطواتها المتروكة، لكن في النهاية لا أحد يترك سيرته وهو مليء بالصمت والظلام.

■■■

الوردة في يد الشاعر، مكسوّة باللغة.

■■■

المطر
صدفة الشوارع الجميلة
التي لم يعد لها عشبٌ، وورد، المطر، يظل صدفة صادقة فقط.

■■■

الذبول منفى الوردة الأبدي.

■■■

الوردة أرملة السماء
لم ينتظرها في الأرض غير الذبول، قبلها الساحات، والشرفات، والنساء اللواتي غرن
كانت صيداً طازجاً من أجل الفخاريات
تكتمل الطاولة
تصبح في البيت سمكة أخرى، تموت بسرعة.

■■■

لمَ لم أنتظر النهاية جيداً
أمام المسميات الكثيرة، والذلّ الكبير، والقتلة كالمرايا،
إن لم أكن قادراً
كالوردة وميراثها من الذبول.

(*) قصيدة من ديوان «تنغيم الوردة»، الصادر حديثاً عن «دار سطور»، بغداد.

فلسفة

اليسار الجديد: الابتزاز بالأخلاق والتهديد بثقافة الإلغاء

مصطفى شلش

نشرت «هاربرز ماغازين» في 7 تموز (يوليو) الماضي رسالةً مفتوحةً على موقعها الإلكتروني بعنوان «رسالة عن العدالة والنقاش المنفتح». وصل عدد الموقّعين على الرسالة إلى 150 من الأسماءِ البارزة في عالمِ الأكاديميا والأدب والفن والمجتمع. رأى هؤلاء في رسالتهم أنّ «التّبادل الحرّ للمعلومات والأفكار الذي يمثّل شريان حياة المجتمع الليبرالي، صار خاضعاً للتضييق بشكلٍ يومي». تأتي هذه الرسالة في لحظةٍ حرجة في تاريخ حركة حريّة الفكر والتعبير عن الرأي التي تتعرض لضغطٍ متزايد جراء انتفاضاتٍ جديدةٍ تعمّ مناطق مختلفة من العالم، مطالبةً بالمساواة والعدالة ومراجعة الماضي. توجّه الرسالة تحيّةً خاصةً إلى هذه الانتفاضات التي تطالب «بإصلاح قوى الشرطة، ومساواةٍ أكبر في الإدماج المجتمعي، وخصوصاً في التعليم العالي والصحافة وأعمال الخير والفنون». لكن في فورة هذه المطالب المحقّة، قد تتفاقم المظلوميات، منتجةً تشنجاً يبلغ حدّ إقصاء أي صوتٍ لا يتماشى كليّاً مع ما ينادي به الشارع، ضاربةً بهذا جوهر الحركة وأساس انطلاقها. المشهد الفكري يتغيّر بطريقةٍ هائلةٍ باتّجاه تقييد حرية التعبير عن الأفكار، كما الوصول إليها، ولو كان ذلك على سبيل الأرشفة أو المعرفة أو الدراسة. يتعرض المحرّرون للطرد عند نشرهم موادّ جدليّة، ويجري سحب الكتب في حال الادّعاء بعدم أصالتها، ويُمنَع الصحافيون من الكتابة في مواضيع معينة، ويخضع أساتذة الجامعات للتحقيق في حال اقتبسوا أعمالاً أدبية في صفوفهم. فـ«ثقافة الإلغاء» هي الوصف الدقيق لما يحصل في البيئات السياسيّة والاجتماعيّة هذه الأيام. سيادة منطق «الصّوابية السياسية» باطّراد أدت إلى فرض نوعٍ من الانسجام الإجباري في صفوف المفكرين، وأخذ كثيرون يتفادون المواضيع الشائكة أو التعبير بحرية عن أفكارهم حيالها. إلا أنّ السكوت عن طرح مشكلةٍ ما لا يعني حلّها، ولا يعني اندثارها بفعل هذا السكوت.

في هذه الأجواء المشحونة، قدّم جيمس أي ليندساي وهيلين بلوكروس أخيراً كتابهما Cynical Theories: How Activist Scholarship Made Everything about Race, Gender, and Identity—and Why This Harms Everybody (منشورات بيتشستون ـ 2020) ليشرحا نصف قرن من التاريخ الفكري بلغ ذروته في عصرنا الحالي. يتمحور الكتاب حول القيم المعولمة، ويجادل المؤلفان حول: «كيف أصبحت هذه القيم تهدّد حرية التعبير، والنقاش العلمي، وتقييم العقل!»

يبدأ الكتاب بدراسة التغيرات الفكرية على المستوى الأكاديمي جراء محاولة فرض مبادئ العدالة الاجتماعية. لا يهدف الكتاب إلى نقد العمل من أجل مجتمع أكثر عدالة بوصفه قضية لا تستحق الدراسة أو العمل مِن أجلها. بدلاً من ذلك، يجادل المؤلفان بأن هناك حملة مُعسكرة باسم العدالة الاجتماعية النقدية لا تتعلق في كثير من الأحيان بالعدالة الاجتماعية على الإطلاق، بل تتعلق بمجموعة فكرية غير ليبرالية من النظريات التي تجد أصلها في أفكار مثقفي ما بعد الحداثة التي يعود تاريخها إلى أواخر الستينيات، واندمجت هذه الأفكار في أطروحة مركزية تفترض أن الحقيقة والمعرفة والأخلاق مُغلفة إلى حد كبير في خطابات القوة والامتياز، بحيث يجب فهمها على أنها بنى اجتماعية بدلاً من كونها ثمار أفعال ونقاشات موضوعية. لذا، عندما يتحدث مناضلو ما بعد الحداثة، فإنّهم يقدّمون المجتمع كونه بناء معرفياً، ولغوياً مُصمّماً للحفاظ على المهيمن في السلطة ضد المظلوم. كما يرفعون شعار «لا توجد حقيقة موضوعية ومحايدة». ويتم تقديم المبادين السابقين على أنهما «الحقيقة» ببساطة، ولا يجب التسامح مع أي جدل حولهما، ويجب أن يتوافق الجميع حول هذين المبدأين أو يتم إقصاؤهم عبر تهم جاهزة أشهرها «عنصرية بيضاء» و«ذكورية» و«فاشية أو نازية» و«معاداة سامية»...

في نظر مؤلفَي الكتاب، فإن العدالة الإجتماعية تحولت جراء الفكر الما بعد حداثي إلى دين أو عبادة أكثر من كونها حركة سياسية. إنهما يعتبران أنّها استحالت تقليداً إيمانياً أعيدت صياغته وموجهاً ضد العقل، يسمح بالتلاعب بالأفكار تحت مسمى «النسبية» ويقضي على الاختلاف عبر الوسائل الناعمة مثل النبذ الاجتماعي والتشويه، والخشنة عبر استدعاء ترسانة القوانين والعقوبات المادية للدولة التي يهاجمها في الوقت نفسه. إننا الآن نواجه إيماناً ما بعد حداثي قائماً على إله ميت، يؤمن بقوى دنيوية غامضة، تقوّض أنظمة السلطة ولكنه يقدس سلطة الضحية، إنّه الدين الأصولي لليسار الجديد العلماني اسمياً.

إذا كان هناك شعار لتلك المرحلة التي نعيشها الآن، سيكون «إنكار الواقع الموضوعي»، إذ شهدت حقبة الستينيات وحتى يومنا تدفقاً لأفكار لا تُحصى من مثقفين ما بعد حداثيين أمثال: ميشال فوكو، وجان فرانسوا ليوتار، وجان بودريّار، وجاك دريدا في اتجاهات عديدة، وتحولت ما بعد الحداثة من حالة التشكك الراديكالي ذات التوجه العدمي في الستينيات إلى حالة عقائدية مُعسكرة، إلى «ما بعد حداثة مُجدّدة».

بقيت ما بعد الحداثة المُجدّدة، على أسس الأولى للما بعد حداثة المنبثقة من مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وأبرز هذه الأسس هي رفض السرديات / الإيديولوجيات الكبرى، والتشكيك الراديكالي الذي رفض المسيحية والماركسية والعلم والعقل وأركان الديمقراطية الليبرالية، وعدم وضوح الحدود المفاهيمية مثل تلك الموجودة بين الصحة والمرض أو الحقيقة والمعتقد. ظلت هذه الأسس بدون تغيير إلى حد كبير حتى مع تطور ما بعد الحداثة وتطبيقاتها من بداياتها التفكيكية التي كانت طريقة تفكير بائسة في فرنسا قبل تحولها إلى نشاط فكري عام في الولايات المتحدة واكتسابها نمط تقديس ديني اليوم. داخل الأكاديمية الأميركية، تطورت ما بعد الحداثة من «مرحلتها التفكيكية البائسة» في الستينيات، إلى «ما بعد الحداثة التطبيقية» في الثمانينيات. وبقيت تغزو حقول المعرفة والممارسة الإنسانية حتى منتصف العقد الأول من القرن الـ 21، وأخيراً وصلت إلى ما أسماه ليندساي وبلوكروس «ما بعد الحداثة المُجدّدة» في العقد الأول من القرن الـ21، عندما جمع العلماء والنشطاء النظريات والدراسات الموجودة في منهجية عقائدية بسيطة، تُعرف ببساطة باسم «العدالة الاجتماعية». تشير هذه العقائدية إلى فكرة أنه يمكن تحويل التجريد إلى شيء حقيقي. في هذه المرحلة، يفسر منطق العدالة الاجتماعية النظرية على أنها حقيقة، وبالتالي باعتبارها الطريقة الوحيدة لعرض الواقع وتفسيره.

حملت ما بعد الحداثة وصورها عشرات النظريات بدءاً من نظرية ما بعد الاستعمار، ونظرية «الكوير»، ونسخ عديدة من النسوية، ودراسات الجندر، ودراسات الإعاقة والسمنة، ونظرية العرق النقدي... لا تعني إعادة النظر في هذه النظريات أنها لا تحمل مزايا وصنعت فرقاً في نظرتنا إلى العديد من الأفكار. لكن مع الوقت، صارت هذه النظريات تُحمل الفرد عبئاً أقل من الالتزامات المفروضة وتلقيها على المجتمع والآخر. ففكرة أنّ حياة النساء يجب أن تُرفع على ظهور الذكور، وحياة السود يجب أن يبنيها البيض...، تبدو نظرة أخلاقية برّاقة، لكنها في الواقع تفتقد للمنطق العقلاني، وتُكرس لاتكالية، وتُبقي على عدم المساواة قائماً جراء تحميل فئة غالباً لا تكون مسؤولة عن مصير فئة أخرى.

ما يعبر عنه الكتاب ليس حالة ذهنية غير أخلاقية. إنه قلق حقيقي بشأن التهديد الذي يشكله نشاط العدالة الاجتماعية وسياسة الهوية وإرث ما بعد الحداثة على علمانية التنوير والاعتقاد بأن الخلاف والنقاش هما وسيلة للوصول إلى الحقيقة، لا تقديس الضحايا. في هذه المرحلة، قد تتساءل: هل حقاً أنّ فكرنا محاصر من أساتذة ونشطاء ما بعد الحداثة غير علمانيين، ولا متمردين، وأصبح التضليل وثقافة الإلغاء هما الوظيفة المركزية لهم؟ هل كنت تظن يوماً أن العدالة الاجتماعية التي كانت حلماً منشوداً ذات يوم تحولت على يد تحالف بين قوى المجتمع المدني واليسار الجديد والقوى المعولمة، إلى فعل شرير يقوّض الحريات ويخنق المناخ الأكاديمي داخل الجامعات والصحف ومؤسسات السياسة؟

يحذرنا الكتاب مِن الحالة التي وصلنا إليها جراء التعامل مع العدالة الاجتماعية لما بعد الحداثة المجددة كونها حقيقة، وموضوعاتها، وخصوصاً الجنس والعرق واللغة... صارت حقولاً لا تسمح بأي مُعارضة، ويجب إلغاء أي شخص يخرج عن النص فيها. يجب ألا نخجل يوماً من لون بشرتنا لو كان أبيض، أو أفكارنا المحافظة، أو قيمنا الكلاسيكية. يجب أن ندرك أن التنوع والنقاش والاختلاف والمعارضة، سمات أساسية لأي بيئة صحية للحياة، وبالتاكيد، فإنّ أي مدرسة فكرية تتخذ من الإلغاء درعاً لها، نسوية كانت أم عرقية أم علمية، هي مدارس مُفلسة على المسار الفكري. لذا تحتمي دائماً بالإدانة الأخلاقية للفرد المُعارض لها. المواجهة تبقى أفضل الحلول، وخصوصاً إذا كُنا أفراداً أو جماعات لم يرتكبوا أو يمارسوا أو يغتصبوا حقوق الآخرين، لهذا يأتي الاختناق الفكري والحرب النفسية التي يشنّها اليسار الجديد من أجل أن يُخفي إفلاسه فكرياً وفشله سياسياً.

> منطق «الصّوابية السياسية» فرض نوعاً من الانسجام الإجباري في صفوف المفكّرين

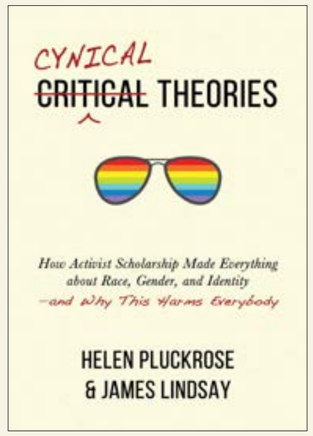

دراسة

مثقّفون عرب: «لون الغد»... ما بعد كورونا

خليل صويلح

«أرى أن البشرية تجتاز منعطفاً تاريخياً للوقوف في وجه كورونا، وأن ما بعد كورونا سيكون عالماً مختلفاً عما كان قبله: السيادة العالمية، وشكل الاستعمار، والاقتصاد، وتنقّل البشر، والفكر والثقافة والإبداع. ما هو تصورك كمبدع ومثقف للإجابة على السؤال التالي: اليوم الثلاثاء 24 آذار (مارس) 2020، فكيف تتخيّل يوم الأربعاء 24 آذار في العام القادم؟». سؤال وجهه طالب الرفاعي إلى 88 مثقفاً عربياً، فكانت الحصيلة إجابات متفاوتة في تشاؤم وتفاؤل وتشاؤل أصحابها حيال تأثير الجائحة الكونية وارتداداتها على هذا الجزء من الكوكب. وضع الروائي الكويتي الإجابات أمامه فوجد أنها تتمحور حول ثلاثة مسالك تتعلّق بحال الكائن العربي وخشيته من الانزلاق إلى قاع أعمق من الاحتضار المعرفي، والريبة من سيادة عالمية أكثر بطشاً واستبداداً، واحتمال بزوغ سرديات شرسة تطيح السرديات المستقرة في كتابة التفكّك والأفول والزوال، و«لحظة كونية تحفر مسارها، لتخطّ تاريخاً جديداً للبشرية». أفكار ورؤى وتطلعات ضمّها كتاب بعنوان «لون الغد: رؤية المثقف العربي لما بعد كورونا» (دار ذات السلاسل- الكويت)، قدّم له أمين معلوف، وقام بمراجعته نزار العاني، وحمل تواقيع: أدونيس، وقاسم حدّاد، والحبيب السالمي، وواسيني الأعرج، وعباس بيضون، ويحيى يخلف، وليلى العثمان، وعبده خال، وإبراهيم عبد المجيد، وسعيد يقطين، وعزت القمحاوي، وعلي المقري، وآخرين.

أشار أمين معلوف في شهادته إلى أن «من يقرأ التوقّعات والتأمّلات التي جمعها ونسّقها طالب الرفاعي في «لون الغد»، تتّضح أمامه صورة عالمنا كما ظهر فجأةً تحت مجهر الجائحة. عالمٌ لم يعد يثق بالوعود ولا بالعقائد ولا بالقادة. عالمٌ قويّه هزيل، وعظيمه ضئيل، وثوابته زائفة. عالم عليل تائه، يبحث عن بدايةٍ جديدة تغيّر المسار، وتُصلح ما أفسده الماضي، وتُعيد كلّ العدّادات اللعينة الى الصفر. أليس أملنا جميعاً أن تكون وقفة كورونا مقدّمة لانطلاق عالمنا، أخيراً، نحو غدٍ مختلف؟». في إجابته، يلفت أدونيس إلى خطورة «الحجر العقلي» الذي يعيشه العرب منذ أربعة عشر قرناً، ويتساءل: «أيتها الطبيعة-الأم-الأرض، لمن نتوجّه، وكيف؟ انظري معنا إلى هذه «الوحدانية» السائدة: حتى في شموليّة الدّاء وكونيّته، بدلاً من أن تتعاطف «شعوبها» بعضها مع بعض، وتتآزر، نرى شعوباً بكاملها تعاقب شعوباً أخرى وتمنعها حتى من شراء الدواء، فيما ترسل إليها «معوناتها» و«هداياها» في طائرات القتل والفتك والتدمير! أهذه هي الإنسانية، حقاً؟ أهذا هو الإنسانُ، حقاً؟ أليست هذه هي المسألة التي تتيح طرحها بإلحاح على العالم، عالمية الكورونا؟».

> لفت أدونيس إلى خطورة «الحجر العقلي» الذي يعيشه العرب منذ 14 قرناً

شعر

داوود مهنا: البحث في خفايا الروح عن بيدر

عبد المجيد زراقط

في «لماذا تنوح البلابل؟» (دار البنان) لداوود مهنا، يأتي العنوان كسؤال يقرّر أنّ البلابل تنوح، ويطلب معرفة سبب نواحها، ما يعني أنّ هذه المجموعة تقدّم معرفة شعريّة بهذا السبب.

الغلاف: عصافير تطير، وتحيط برأس رجل مغمض العينين، يعتمر لبّادة، ويعزف على شبّابة في فضاء قاتم. العصافير لا تقف على الأغصان وتنوح، وإنّما تطير، والرجل يعزف، فهل يعني هذا أنّ العصافير ناحت وهاجرت، وأنّ الرجل هو من بقي يواصل النواح؟ ما يرجّح الإجابة بنعم هو الإيقاع النصّي المتمثّل بثابت هو: صور أربعة عصافير تطير على الصفحات المفردة وصورة الفضاء القاتم على الصفحات المزدوجة.

الفقد هو ما يفضي إلى النّواح، فأيّ فقد هو هذا الذي تنوح عليه بلابل هذه المجموعة الشّعريّة؟

في الإهداء: «إليكِ، حتّى آخر قطرة في النّبع» ما يفيد أنّ فقداً حدث، وهو إنّما يسعى إلى تعويض هذا الفقد إلى آخر قطرة في النّبع.

النّبع، هنا، دالٌ على القدرة/ العزم... وضمير المخاطبة، في إليكِ، قد يكون ضمير امرأة أو قضيّة... وأيّاً تكن المُهدى إليها، فإنّ الإهداء يفيد أنّ السعي إلى تعويض الفقد مستمر إلى نفاد آخر قطرة في النبع، أي إلى جفاف النبع وفقد الخصب، والتصحُّر، فهل هذا هو سبب نواح البلابل؟

يفيد ما تقدّم أنّ بنية هذه المجموعة هي بنية طلب معرفة، وهذا يقتضي السعي إلى تحصيل هذه المعرفة وتقديمها، فكيف تمّ ذلك؟

وضع الشاعر محمد علي شمس الدين عنواناً لمقدمته لهذه المجموعة هو: «شاعر التأمل والإشراق». والتأمل هو إعمال العقل في معطيات الإدراك: الحسي والوجْدي يفْضي إلى تحصيل معرفة، والإشراق هو فيض هذه المعرفة تلقائياً كما يفيض العطر من الزهرة. المصطلح الأوّل ذهني فكري، والمصطلح الثاني حدسي صوفي، ما يعني أننا إزاء فاعليتين تمثلان السعي الكياني إلى المعرفة. نحاول الإجابة عمّا أثرناه من أسئلة، في ما سبق، من طريق قراءة ما فاض به الينبوع، أو ما أشرقت به التجربة الشعرية الكيانيّة.

نقرأ القصيدة التي تحمل المجموعة عنوانها. ترسم هذه القصيدة لوحة بصرية سمعية، مكوناتها: زقزقات العصفون، همس الجداول، رقصة الشمس في هجير السنابل، هتاف الأعشاب يذكي صبوة النهر في ارتعاش الأنامل، هدوء المكان... توقظ هذه الصورة حلماً مثل أحلام بابل. ويقرر الشاعر أن كل همس صدى انكسار آتٍ، ويسأل: ألهذا تنوح البلابل؟

تمضي القصيدة إلى التشكل في أربع حركات: الأولى تصوير سردي يشكل لوحة تؤدي وظيفة سردية هي تشكيل حدث، والثانية هي الحدث الذي تم تشكيله، وهو حلم مثل أحلام بابل، ويفضي هذا الحلم إلى تقرير، والثالثة هي هذا التقرير، وهو أن كل همس هو صدى لانكسار آتٍ، ما يطرح السؤال: ألهذا تنوح البلابل؟ وبهذه الحركة الرابعة يكتمل تشكل بنية القصيدة، وهي بنية سؤال أضيفت إليه علامة تعجب، في حين انتهى السؤال في عنوان المجموعة بعلامة استفهام فقط.

الحركة الأولى/ اللوحة البصرية السمعية تمثل جمال الطبيعة، فلم تشكل حلماً مثل أحلام بابل؟ أحلام بابل هنا دالٌ على فقد جمال طبيعي وإنجاز حضاري من معالمه جنائن بابل المعلّقة، فلم تشكل هذا الحلم؟ يجيب الهمس في الحركة الثالثة عن هذا السؤال، فثنائية الحاضر- اللوحة الماضي- حلم بابل دال على انكسار آتٍ، وهذا الانكسار الآتي هو سبب النواح.

التجربة الشعرية الكيانية، كما يبدو، تشكل رؤية مفادها أن الانكسار/ الفقد هو الآتي، وهو حقيقة/ جوهر هذا الوجود، منذ القديم إلى ما تعرفه الطبيعة والحضارة الإنسانية من حضور وتجدُّد لهذا الحضور، وهذه رؤية نجد حضوراً لها في شعر أبي العلاء المعري وكثير من شعراء التأمل والإشراق، أو الشعراء المفكرين.

السؤال الذي يُثار هنا هو: هل هذا هو سبب نوح البلابل، والبلابل، هنا، دالّ على الذات المدركة لهذا الفقد، فالنواح هو إيقاع هذه الذات.

هذا الإيقاع نجده في الإيقاع المهيمن في هذه القصيدة، والمتمثل في قافيتها. وقديماً قال النقاد: القصيدة كلها قافية. قافية هذه القصيدة تتمثل في حركة/ فتح، فحرف لين، فحركة/ كسر، فساكن، وهذا التشكل الإيقاعي دالّ على تحرك ينطق يعلو صرخةً/ ندبة، ينكسر، وي قطع.

وتفيد قراءة قصائد المجموعة بأن هذا الإيقاع ثابت من ثوابت مكوناتها، ومن نماذجه: «اب»، «اه»، «اها»، «ياه»، «لا»، «ات»... كما أن صوت اللين «ا» يتكرر في ثنايا متن كثير من القصائد.

وهذا جميعه يعني أن التجربة الشعرية تملي الرؤية وتمثلها، وهو ما ينطق به إيقاع «النوحة» الممتدة من أعماق الذات، وهذه الرؤية إلى جوهر الوجود هي رؤية وجودية صوفية، ولكنها رؤية تكتفي بتبين الفناء، ولا تكمل إلى البقاء، وما يقتضيه هذا من سعي إلى الحلول والكمال، فالعودة إلى النعيم الذي فقدناه منذ بدء الخلق بأن كان أبونا آدم يفتقر إلى العزم، فكان علينا، كما يرى الصوفيون، أن نعوض الفقد، ونمتلك هذا العزم، بعدما نمر بأحوال تفضي الى تعويضه، والحلول في البقاء.

بلابل/ طيور داوود مهنا تذكر بطيور الشاعر الصوفي فريد الدين العطار، الطائرة تبحث عن «السيمرغ»، وفي طيرانها إليه، تمر بمراحل الكمال. طيور مهنا تبحث، في خبايا الروح، عن بيدر، يقول: «والطير مالئة نواح الحقل/ تبحث، في خبايا الروح ، عن بيدر» (ص116). فهل «بيدر» طيور مهنا يعادل «سيمرغ» العطار، ولكل منهما فاعليته الجمالية الدلالية؟

ويبدو أن طيور مهنا لا تزال في الأحوال الأولى، فهي تبحث في خفايا الروح عن بيدر يمدّها بالغذاء الذي يتيح لها مواصلة السعي والوصول، بعد المرور بالأحوال.

هذه المجموعة تضم سبعين نصاً شعرياً، تتوزع بين قصائد ومقطوعات، وبين شعر شطرين وشعر تفعيلة، وتعرف تلاعباً دالاً بالتنضيد، تبحث عن المعنى في صومعة الفكر، وتمثل بلغة شعرية: الثوب الأحلى، الإدراك الآتي من غيب الصومعة، فكي تدرك ذاتك/ لا تنظر/ أغمض عينيك (ص 24). فيض بيدر خفايا الروح يؤتي الإشراق الدائم، ففي انتظار الفيضْ/ الإشراق الآتي، أقول لداوود: كاشف إشراقك في عالم يظل في حاجة إلى الكشف.

> بلابل/ طيور داوود مهنا تذكّر بطيور الشاعر الصوفي فريد الدين العطار

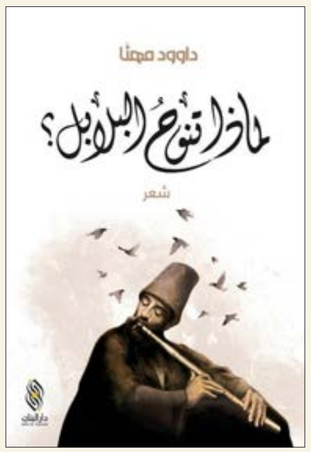

رواية

علي نسر في «وادي الغيوم»: عن البناء السّردي وتكوين الشخصيّات

درّية كمال فرحات

«وادي الغيوم» (دار المؤلف) رواية للكاتب علي نسر، تدور أحداثها حول البطل يوسف قنديل، ذلك الشاب الذي يلفت انتباه الجنس الناعم، أو كما قال عنه صديقه صلاح بأنّه المتفلّت الذي تتعرّى أمامه في كلّ يوم امرأة مختلفة. يوسف حامل هذا الاسم له دلالة سيميائيّة، فكأنّه يأخذ من قصة النبي يوسف تعلّق النّساء به، لكنّ قميص النبي يوسف صكّ براءة له، أمّا قميص يوسف بطل الرّواية فلم يكن بريئاً من مجاراة انجذاب النّساء نحوه، سوى امرأة واحدة. وكان لتعفّفه معها أنّها لم تكن سوى زوجة صديق عمره صلاح، فكانت ماجدة كزليخة بالنّسبة إلى يوسف، إنّ مسّها فهو يمسّ القيم والمبادئ التي يؤمن بها. ولم يكن يوسف البطل الذي يأخذ من اسمه معناه فقط، فالبطل المساعد في الرواية أي صلاح، يأخذ اسمه علامة سيميائيّة مهمة. فاسمه يدلّ على مفهوم الاستقامة والعمل الصّالح، وهكذا كان حامل هذا الاسم، فهو بالنسبة إلى يوسف الإنسان الدّاعي إلى الخير وكما يقول يوسف عنه: «المتدين الذي تلوّنت جبهته من كثرة السّجود». وما هذه العلاقة المغناطيسيّة التي تشدّ صلاح إلى رفيق مختلف عنه، إلا لأنّه يرغب في إصلاحه «مشروع تخرّجي في الحياة أنت يا يوسف». وهكذا كان اختيار الاسمين دلالة على الأبعاد النّفسيّة للشّخصيتين، فاسم العلم يقوم بدور تمييزيّ للشخصية داخل المسار السردي. وإذا كان يوسف يمثّل صورة الشاب الماجن، فإنّ الرواية ليست قصّة «دونجوان» العصر، إنّما هي حكاية تجمع في أحداثها الكثير من القضايا الاجتماعية والأفكار الفلسفية والوجودية والدينية والحياتيّة.

والرّواية مشروع مشترك بين يوسف وصلاح إضافة إلى مرام، يتبادلون رواية فصولها، فيتحدّث كلّ راوٍ عن المواقف كما رآها هو أو عرفها. وتكتمل الحادثة عندما يتحدث الراوي الآخر. وتعدّد الرواة هو ما يفضّله بطل الرواية عندما تحدّث عن روايته المفضلة «لا أحبّ هذا النّمط من الروايات التي يكون الرّاوي أحادي السّرد والكلام والرّؤية». ونلمح ظلال الكاتب من خلال ما ذكره البطل يوسف، فقد مضى القصّ في الرّواية، مستنداً إلى تعدّد الرّواة، يروون ما في داخلهم من تداعي أحداث الماضي، وربطه بما يجري في الخارج، فيتشكّل مسار سردين أوّلهما داخلي نفسي وثانيهما خارجي. وإذا اعتمد الكاتب في طرائق سرد الحوادث على طريقة التّرجمة الذاتيّة، وأغفل ما له علاقة بالرّاوي العليم، ففي مقاطع أخرى من روايته يلجأ إلى طريقة المنولوج الداخلي، فيعرض من خلالها لخواطر الشّخصيّة ومن خلالها يكتمل رسم الشّخصية. وقد برز ذلك كثيراً من خلال حديث يوسف لنفسه، وفي رقدته بين أحضان والدته، تعود الذكريات إلى ذهنه فيخرجها لترتبط مع السرد من دون الالتزام بتتابعها الزمني للحوادث. وقد يتشكّل مسار السّرد من خلال دفتر الذكريات الذي يلجأ إليه البطل.

ومن طرائق سرد الحوادث المعتمدة طريقة الرسائل وقد لجأ إليها الكثير من الرّوائيين. وفي هذه الطريقة، يمكن للروائي أن يحمّل الرسائل جزءاً من مهمّة سياق النص القصصي. أمّا في رواية «وادي الغيوم»، فقد أبدل الكاتب طريقة الرسائل باعتماده على سرد فصول من رواية تُرجع البطل إلى «بداية الحرب مروراً بهولها ونكساتها وصولاً إلى منتصف الأحداث». وقد لازمت هذه الرواية يوسف قنديل حتى أدمن عليها، ولم تكن العودة إلى هذه الرّواية إلا لتكمل المشهد الذي يرسم لنا شخصية البطل النضالي. ويمكن القول إنّنا بتنا أمام رواية يكتبها الكاتب ضمن الرّواية الأساسية، يكمن دورها في رسم غير مباشر لشخصية يوسف قنديل.

إنّ رواية «وادي الغيوم» بما يحمله اسمها من دلائل سيميائيّة إضافة إلى أسماء بطليها، جعلتنا نعيش من خلال طرائق سرد حوادثها حكاية يوسف قنديل، فهو الشخصية الرئيسة في الرواية، فكل الحوادث تدور حوله.

وهذه المحورية للشخصية الأساسية جعلت الكاتب يهمل تحديد معالم الشخصيات الثانوية، فلم يظهر منها إلا ما له علاقة في بناء حركية الأحداث المرتبطة بيوسف. وقد نقبل ألا نعرف من هي المرأة الجميلة المجهولة التي شاهدها في الأمسية الشعرية، واكتفى الكاتب فقط بإثارة فضول القارئ لاكتشاف هويتها، ولتكون ممهّدة للحديث عن مرام، لكنّ ما لم يكن مقبولاً هو إغفال إعطاء الصورة الواضحة عن مرام وماجدة. فمرام تحبّه، فيغدر بها وتخسر خطيبها بسببه لتتزوج رجلاً يعرف حقيقة مشاعرها، غير أنه لذلك وتكوّن معه عائلة في الاغتراب، لتعود لاحقاً للتّواصل مع يوسف، وتكون لهما مغامرة جديدة، وترحل من جديد تاركة إياه لتلحق بعائلتها من دون إبراز واقعها النفسي. ونقف حائرين مع المرأة الملتزمة التي اختلّ توازنها، فراحت تبحث عن حلول تناسبها وحدها أثناء غياب زوجها، فتطلب لقاءه لتعترف له، فيصدّها، ولم يعتمد الكاتب لعبة أغاثا كريستي في قصصها البوليسية، فلا نعرف القاتل إلا في الختام، إنّما نراه يترك للمتلقي الذّكي في أن يكتشف أنّ هذه المرأة ما هي إلّا ماجدة زوجة صديقه صلاح من خلال قراءته لما بين السطور. وظلّت هذه العلاقة غير المكتملة هي موضع إعجاب صلاح به لأنّه تعفف عن الاستجابة لرغبات هذه المرأة التي رفض صلاح معرفة اسمها كي لا يحمل صديقه ويتحمّل معه شيئاً من الإثم. وهكذا بقيت ماجدة غامضة بتفاصيل نفسيتها، والأسباب التي قادتها إلى ذلك إلّا إذا أخذنا بالإشارة السريعة إلى اختلاف تربيتها العلمانيّة عن طبيعة حياة زوجها الدّينيّة. وظلّت هؤلاء النّساء يدرنّ حول البطل كما تدور الفراشات حول الضّوء من دون أن تدري أنّ في هذا الاقتراب من الضّوء احتراقاً لها.

وإذا تفحّصْنا «نس» في طرائق السّرد منوّعاً بها، وأجاد في بناء الشّخصيات التي حقّقت مراده، فإنّ الرّواية شاهدة على أسلوبه السّلس وحسن استخدامه للصّور البيانيّة التي حفّلت فيها الرّواية ناقلة المراد الذي يبتغيه.

> الرّواية شاهدة على أسلوبه السّلس وحسن استخدامه للصّور البيانيّة

أوراق

الكنعانيّون الكلاب

زكريا محمد*

وصف المسيح في جملة شهيرة له الكنعانيين بأنهم كلاب: «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً. فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب، وقال: لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعنّي. فأجاب: وقال ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» (متى 15: 12-26).

وقد أثارت هذه الجملة الجدل. إذ بدت للبعض قولاً عنصرياً مباشراً. لذا حاول بعض الباحثين العرب تبيان تناقض هذه الجملة من متّى مع التراث المسيحي، ونسبة ما جاء فيها إلى بعض التقاليد اليهودية التي ظلت عالقة في ذهن بعض الرسل المسيحيين: «في مداخلة أخرى يهودية لمتّى يضع على لسان يسوع قوله إن رسالته محصورة ببني إسرائيل، ثم يصف الكنعانيين بالكلاب الذين لا يستحقون بركته الشافية... فإلى أي حدّ تتوافق هذه الأقوال الشوفينية المنسوبة إلى يسوع مع بقية أقواله في الأناجيل الأربعة» (فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح، ص 125- 126، منشورات علاء الدين، دمشق، 2007).

لكن يمكن الدخول إلى هذه الجملة الغريبة من مدخل آخر، إذ يبدو لي أن كلام المسيح يشير إلى أن رسالته كانت محصورة، في الأصل، ببني إسرائيل، الذين هم ليسوا اليهود، بل نقيضهم الديني في الواقع، قبل أن يجري دمجهما بشكل ما في التوراة التي نعرفها الآن. بالتالي، فمتّى لم يكن يضع كلاماً يهودياً على شفة المسيح، بل كان يواصل التقليد القديم لإسرائيل القديمة. من أجل هذا، أعتقد أنه من الخطأ فهم كلام المسيح باعتباره كلاماً عنصرياً ضد مجموعة إثنية تُدعى بالكنعانيين. فكنعان هنا مصطلح ديني لا إثني. وهو نقيض ديني لبني إسرائيل لا غير، مثلما أن الفلسطينيين في التوراة مصطلح ديني في مواجهة اليهودية. وأغلب الظن أن للكنعانيين هنا علاقة بكنعان بن نوح الشهير. وكنعان هذا مرتبط بالمياه السفلية، لذا يقال إن اسمه هو «يام» أي البحر: «قال بعض أهل التوراة: لم يولد لنوح إلا بعد الطوفان، وقيل: إن ساماً ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، وقيل: إنّ اسم ولده الذي أغرق كان كنعان وهو يام» (ابن الأثير المؤرخ، الكامل في التاريخ). بالتالي، فكنعان وكنعانيوه هم الضد الديني لبني إسرائيل.

بذا، فوصف المسيح للكنعانيين بالكلاب مسألة دينية لا مسألة إثنية. وهو نابع من أن كنعان في النص نقيض إسرائيل. ويبدو أن كنعان مرتبط بجنوب السماء. وجنوب السماء مرتبط بالكلاب. فنجمة الشعرى التي تقع قرب برج الجوزاء في جنوب السماء، أو هي جزء منه، تدعى «كلب الجوزاء» عند العرب، و«نجم الكلب» عند اليونان. أما إسرائيل، إسرائيل الإله في الأصل، فشمالي. لهذا فمملكته شمالية. بذا فالمسيح يقول للمرأة: أنا جئت نبياً لبني إسرائيل الشماليين، لا لنقيضهم الجنوبي، وليس أكثر من ذلك. جئت للخراف الضالة الشمالية كي أجمعها لا للكلاب الجنوبيين وأبنائهم، المرتبطين بكلب الجوزاء. فإسرائيل مرتبط بالأغنام لا بالكلاب: (إسرائيل غنم متبدّدة. قد طردتها السباع) (إرميا 50: 17). فالإله الشمالي مرتبط بالخراف والأغنام لا بالكلاب. الإله الجنوبي هو المرتبط بالكلاب. بالتالي، فالمسيح يقول للمرأة: أنا جئت نبياً لبني إسرائيل الشماليين، لا لنقيضهم الجنوبي. يعني: لن ينفع ابنتك طبي أيتها المرأة.

«موسى والثعبان» للفنان الفلمنكي بيتر بول روبنز (زيت على لوح ـ 159×144 سنتم - 1610/1609)

أولاد الأفاعي

ويمكن أن نفهم تعبير «أولاد الأفاعي» في الإصحاح الثالث من إنجيل متّى أيضاً انطلاقاً من هذا المنوال: «فلما رأى [المسيح] كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته [يوحنا المعمدان] قال لهم يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم إن الله قادر على أن يقيم من هذه الأحجار أولاداً لإبراهيم» (متّى 3: 7-10).

أولاد الأفاعي هنا ليست شتيمة بل وصف ميثولوجي. دليل ذلك أنها وردت هنا في سفر لوقا على لسان يوحنا كوصف لجمهور المؤمنين به، أي عملياً المؤمنين بالمسيح، لا كوصف للفريسين والصدوقيين: «وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (لوقا 3: 7-8). وأنا أعتقد أن رواية لوقا هي الصائبة.

إذن، جمهور المؤمنين بالمعمدان والمسيح هم أولاد الأفاعي هنا. بذا، فلا تصلح فهم الجملة كشتيمة. إنهم أولاد حيات لأن رمزهم، أي إبراهيم، مرتبط بالحيات. فالآلهة الشماليون يتبدّون كحيات دوماً. من أجل هذا، كان موسى مرتبطاً بالحية. فعصاه حية وحيته عصاه. وإله المسيح يبدو من هذا الطراز كذلك. يؤيد هذا الجملة التي وردت في يوحنا: «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان» (يوحنا 3: 14). ابن الإنسان هنا، الذي هو المسيح، سيُرفع إلى السماء كما رفعت الحية. والرفع هنا يعني الموت والانتقال إلى السماء. بالتالي، فالمسيح يُشبّه بالحية، حية موسى الشافية الشهيرة التي وضعها على رايته لشفاء جماعته. وبما أن موسى وإبراهيم من صنف إلهي واحد، فإن إبراهيم أيضاً حية. وأولاد الأفاعي الذي خاطبهم المعمدان هم أولاد إبراهيم. فما دام إبراهيم حية رمزياً، فإنّ أبناءه حيات أيضاً.

> وصف المسيح للكنعانيين بالكلاب مسألة دينية لا إثنية. وهو نابع من أن كنعان في النص نقيض إسرائيل

فوق هذا، ربما كان علينا أن لا نفهم الحديث عن الخبز بالمعنى المجازي تماماً: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب». ذلك أن الإلهة التي ترتبط بالحيات ترتبط بالخبز أيضاً. إنها آلهة خبزية، أو من خبز. وهذه الآلهة شمالية. أي على علاقة بشمال السماء. لذا قال المسيح أيضا: «أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء» (يوحنا 6: 51). وقال أيضاً: «فمن يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز النازل من السماء» (يوحنا 16: 57-58). الخبز، الذي هو المسيح ذاته، لا يُطرح للجراء، أي للآلهة الجنوبيين، بل للإلهة الشماليين مثل «مطعم الطير» العربي، الذي أكلت الطير من رأس ابنه. ذلك أن الخمر هي ما يخص الجنوبيين وجراءهم. عليه، فلم يكن المسيح يمتنع عن مباركة المرأة الكنعانية لأنه يفرق بين بشري وبشري، بل كان يضع حداً بين الشمال والجنوب. فالخبز، رمزياً، ليس للكنعانيين، بل لبني إسرائيل.

وهذا الخبز لا ينفع أصلاً لكنعان المرتبط بالكلاب، فهو مخصّص لإسرائيل المرتبط بالأغنام. لكن شرط أن نفهم أن بني إسرائيل ليسوا اليهود، بل نقيضهم الديني. فنحن بين بني إسرائيل وبني يهوذا.

وإذا كان التفريق بين بني إسرائيل واليهود ليس واضحاً لدينا، فهو واضح في العهد القديم؛ فهناك «إسرائيل» الشمالية، وهناك «يهوذا» الجنوبية. إسرائيل هي بنو إسرائيل. ويهوذا هي اليهود، أو بنو يهوذا. وأصل هاتين المملكتين هناك في السماء. واحدة منهما ترتبط بشمال السماء، والأخرى بجنوبه.

والحال، أن المسيحية هي متابعة لتقليد إسرائيل، أو بني إسرائيل. أي أن المسيحية لم تنبثق من اليهودية بل من نقيضها: بني إسرائيل. هذا ما أوضحته النصوص الإنجيلية التي أوردناها: «لم أُرسل إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل» (متى: 15: 25). وفي إصحاح آخر يضيف: «لا تسلكوا طريقاً إلى الوثنيين. ولا تدخلوا مدينة للسامريين. بل اذهبوا نحو الخراف الضالة من بني إسرائيل» (متى 10: 1-6). عليه، فرسالته لبني إسرائيل لا لليهود، ولا للسامريين. والسامريون جنوبيون مثلهم مثل بني يهوذا.

ويعتقد كثيرون جداً من باحثي التوراة أن إسرائيل الشمالية تقع في شمال فلسطين، أي في منطقة نابلس، ويربطونها، بشكل ما، بالسامرية. أي يخلطون بين شمال فلسطين وشمال السماء، مسقطين الإحداثيات الميثولوجية على جغرافيا فلسطين، وهو أمر مضلّل تماماً. فدينياً، ليست السامرة شمالية، بل جنوبية، رغم أنها تقع شمال القدس. دليل ذلك أن السامريين يتعبّدون لإله جبل جرزيم، الجبل الجنوبي، لا عيبال الشمالي، أي يتعبّدون جبل البركات لا جبل اللعنات، حسب العهد القديم. اليهودية والسامرية معاً جنوبيتان. في حين أن بني إسرائيل شماليون. هذا يعني أن السامرة ليست ابنة إسرائيل القديمة دينياً، بل نقيضها الديني. دين اليهودية ودين السامرة دين واحد في الأصل. لكن السامرية جنوبية صافية، واليهودية جنوبية مختلطة. أي أن اليهودية سامرية مشوبة مخلوطة بمسحة إبراهيمية-إسرائيلية. ويجب البحث عن سبب وجود هذه الخلطة في الصراع السياسي بينهم وبين السامريين، وفي الصراع الذي استمر بين البطالمة في مصر وبين السلوقيين في الشام.

الصراع بين السامرة واليهودية ليس هو ذاته الصراع الميثولوجي بين إسرائيل ويهوذا. هذا أمران لا يتطابقان. الصراع بين إسرائيل ويهوذا صراع بين شمال السماء وجنوبها. أما الصراع بين السامرة واليهودية فهو صراع بين اليهودية الأكثر صفاء، أي السامرية، وبين اليهودية المختلطة، وهو صراع ديني وتاريخي معاً.

أما المسيحية، ذات الطابع الشمالي، فهي تجديد لإسرائيل القديمة. هي إسرائيل العهد الجديد. وفي رأيي أن الإسلام مثله مثل المسيحية استمرار لديانة بني إسرائيل القديمة، لا لليهودية. من أجل هذا فموسى وإبراهيم هما الشخصيتان المركزيتان في القرآن.

* شاعر فلسطيني